حواديت حرة مباشرة

محمد هشام محرم

دار الكنزي للنشر و التوزيع

حواديت حرة مباشرة

حواديت حرة مباشرة \ محمد هشام محرم

تصميم الغلاف : مها ابراهيم

تصحيح لغوي : سناء شلتوت

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي :

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة

دار الكنزي للنشر و التوزيع

+2 01146312878

Alkanzy.co@gmail.com

Facebook.com/Alkanzy.co

إهْـــدَاء

إلى روح أبي هشام مُحرم.. صديقي الأول ومُعلمي

إلى أمي....

وإلى من وثق فيّ حينما كُنت على وشك فقدان الثقة في نفسي للأبد....

إلى من قال لي يومًا ما ستصير ما تُريد....

إلى من صاحبني في طريقي من بدايته دون أن يعلم إلى أين ينتهي....

إلى من أسندتُ أحلامي برفق على أكتافهم....

إلى كل عاشق للكُرة ومن مات بعشقه لها....

إلى روح ٧٤ عاشقًا، و٢٠ مُخلصًا.

مقدمة

لا أعلم لماذا أعطيتُها كل هذا الاهتمام، ربما فَعلت ذلك بقايا الإنسانية التي لم تنل من تشوهات العصر الحديث.

لم أقل أن الكرة هي أهم الأشياء في الحياة، لكنها وقفت أحيانًا كمعلم يعطيني دروسًا مجانية في الإنسانية، درسًا عن أهمية الصوت، الهتاف والثورة، فبدون أصوات الآلاف المحتشدة في مدرجات تطل على عشب أخضر لن تتغير تلك النتيجة على لوحة الأرقام العملاقة من خسارة إلى فوز، وأحيانًا تتحول إلى معجزة أراها بعيني المجردة، والتي لم اقرأ عنها في كتب التاريخ.

ويتكرر السؤال لماذا كُرة القدم ؟

لماذا تحزن على هزيمة فريقك إلى حَد البُكاء وما الذي تستفيده من فوزهم؟

اليوم الأول في طريقي نحو المدرسة، كان عقلي الصغير لا يكف عن التفكير، كُنت أتساءل عن طبيعة هذا العالم الجديد الذي سأدخله بعد قليل، عالم يغيب عني فيه الوجوه المألوفة، أمي لن تكون هُناك وكذلك أبي، فقط أطفال في مثل سني يجلسون من حولي، ورجُل لا يُشبه أبي يقف أمامنا يُحدثنا عن أشياء أسمعها للمرة الأولى.

إن كان بيدي الاختيار لهرولت مُبتعدًا عنها، مُقتربًا من المنزل، لكنني كُنت أعلم أنه لن يسمح لي بالعودة إلى المنزل، قُضي الأمر وسأرتاد تِلك المدرسة يوميًا حتى وإن لم اختارها، في الواقع لم يختر أحدٌ منا مدرستهُ ولا

المنزل الذي وُلد فيه، لم نختر الملابس التي كُنا نرتديها في الصغر، ولا حتى تصفيفة شعرنا التي نسخر منها كُلما وقعت أعيننا على صورة قديمة لنا.

الشيء الوحيد الذي وقع اختياري عليه بمحض إرادتي، كان فريقي المُفضل، كان حُب الكُرَةُ.

عَلمتني الكُرَةُ أن اختار، علمتني الكُرَةُ أن أُحب.

الحلم الاول

الطريق إلى الماضي

آخر أيام الخريف، أو ربما كان الشتاءُ قد بدأ، يأتي الهواء من خلفه يداعبهُ ويؤنس وحدتهُ، رغم أن الطريق كان كالسماء يومها مفروشًا بالسواد إلا أنه كان يعلم طريقهُ جيدًا، رُبما تلك النجوم القليلة اللامعة كانت كافية له للعودة إلى المنزل، أخذ هاريُفكر في المباراة التي كان يُشاهدها منذ فترة، وكيف قلب ريال مدريد خسارته إلى فوز عريض، قفزت ذكرى مباراة نهائي دوري أبطال أوروبا في إسطنبول أمام عينيه، وأخذ يُعيد المباراة في مُخَيِّلتهِ، ويتذكر كيف قلب "ليفربول" هو الآخر خسارته إلى فوز حتى وإن كان بضربات الجزاء.

صوت أقدامه وهي تدوس على أوراق الشجر الجافة، هو ما أخرجه من بوابة الذكريات ليضع قدمه على أرض الواقع مرة أخرى، أو ربما كانت أوراق الشجر تُنبهه إلى أنه وصل إلى منزله.

دخل هاري المنزل واِتجه مباشرةً إلى غرفته، وقف أمام المرآة وفي انعكاس المرآة رأى صور كل نجومه المفضلين من كل الأزمان، رأى صورة كرويف بجانب صورة مارادونا بجانب صورة الظاهرة رونالدو بجانب صوركل من بيرلو، وتوتي، ومالديني، وديلبييرو، وباجيو، وزامورانو، وأوليفركان، ومولر بجانب بيليه، وميلا، وميسي يُصافح كريستيانو رونالدو، ربما من الغريب على البعض أن يضع أحدهم صورة ميسي وكريستيانو في غرفته، فمن يحب كريستيانو في الغالب يكره ميسي

والعكس صحيح، أما بالنسبة لـ هاري فالأمور كانت مختلفة تمامًا، هاري ربما يشجع فريقًا على حساب الآخر، ولكنه لا يُقلل من حجم لاعب فقط لكونه في الفريق المُنافس، هاري يُحب كُرَةُ القدم، يُحب الروح التي تبثُّها الكُرَةُ في جسد مُحبيها.

أغمض هاري عينيه لثانية وقال: كنت أتمنى أن أكون موجودًا في كل العصور الكروية، وأن أُعاصر كل هؤلاء النجوم، وأتعرف على حكاياتهم وأسمع قصصهم، وأن أرى بعيني ما كانوا يفعلوه بالكُرَةُ.. فقط مجرد أمنية!

فتح هاري عينيه مُبتسمًا قبل أن يتجه لفراشه، تحت صور نجوم معشوقته الأولى كرة القدم.

لم يحتاج هاري أكثر من دقيقة ليغرق في نومٍ عميق، قبل أن يشعر بيد تهزه برفق، ولم يَكدْ يفتح عينيه حتى شعر بالهلع، هذا الرجل العجوز ذو اللحية البيضاء الطويلة لم يكن والده بكل تأكيد؟!

- هاري: مَنْ أنتَ وكيف دخلت إلى هُنا؟

- العجوز: أنا!؟ أنا ما تُريد، وأنت مَنْ استدعاني إلى هُنا، أنا الشخص الوحيد الذي عاصر كل هؤلاء – مُشيرًا إلى صور اللاعبين-.. أنا التاريخ.

- هاري: وكيف اِسْتَدْعَيْتُك إلى هُنا، وأنا لم أفعل شيئًا سوى التمنّي.

- العجوز: هذا سبب وجودي هُنا؛ حيث لحظة أن تمنيت أُمنيتك توافقت هذه اللحظة مع اكتمال القمر، وفي تلك اللحظة هناك أُمنية مُجابة لشخص واحد في العالم "هكذا تقول الأسطورة".. أنتَ هذا المحظوظ يا هاري.

- هاري: هل تقصد أنكَ قادر على أن تُريني كل هؤلاء النجوم، أي أن أراهم بعيني؟

- العجوز: نعم.. وسوف ترى ذلك بنفسك، ثم أمسك العجوز بيد هاري، ووقف تحت صور نجوم معشوقته الأولى كرة القدم، وقال له: أغمِضْ عينيك.

شعر هاري بدوار، وأحس أن روحهُ تُسحب من جسدهِ، ولم يستطع أن يغمض عينيه أكثر من ذلك، وعندما فتح هاري عينيه رأى أفضل مشهد في حياته؛ حيث رأى كرويف يقف على بُعد خطوة من نقطة الجزاء، ويستعد للعب ضربة الجزاء، والشاشة الكبيرة في الإستاد تُشير إلى تقدم أياكس أمستردام على هلموند سبورت بهدف للا شيء، وتقف جماهير أياكس في المدرجات التي يقف فيها هاري، حيث تستعد للاحتفال بالفيلسوف كرويف الذي كان على وشك إحراز هدف التعزيز، فالجميع كان على ثقة أن كرويف سيحرز ركلة الجزاء.

وقد كان كرويف يفكر في شيء غير اعتيادي؛ حيث وقف كرويف قبل نقطة الجزاء، ووضع الكرة عليها، ثم أطلق الحكم صافرته، وبدلًا من أن يضع كرويف الكرة في الشِباك مررها بالعرض إلى جيسبر أولسن، ثم تقدم حارس هلموندأوتو فير سفيلد نحو أولسن الذي أعاد الكرة لـ كرويف الذي وضعها بدوره في المرمى.

انفجرت مدرجات أياكس أمستردام بالفرحة بهذا الهدف التاريخي من ركلة جزاء غير اعتياديّة، أما هاري فلم يصدق نفسه، حيث لم يكن يعلم بوجود هذه اللعبة من الأساس، ثم نظر بجواره ليجد العجوز يتأمل تعبيرات وجهه، فصرخ هاري فيه.. كيف؟! كيف فكر في مثل تلك الفكرة، ما الذي دار بعقله حينها؟

فأجابه العجوز: شاهد ذلك أيضًا بنفسك، ليجد نفسه واقفًا أمام كرويف، وأمامهم مذيع يحاور الفيلسوف الهولندي ويسأله عن ما هو سر تلك ركلة الجزاء الغريبة؟

أجابه كرويف: نحن على مقربة من أعياد الميلاد لذلك؛ قررنا منح جماهيرنا هدية ستظل عالقة في أذهانهم.

وعلى الجانب الآخر وقف مذيع آخر يحاور حارس مرمى هلمند سبورت وسأله: ماذا شعرت أثناء تنفيذ ركلة الجزاء؟

قال فيرسفيلد: كنت أحاول أن أستوعب ما يحدث أمامي، لقد كنت مذهولًا تمامًا!

نظر هاري إلى العجوز صاحب اللحية البيضاء وقال له: هل ستبقى هُنا يا ...؟ ما هو اسمك؟ كيف أناديك؟

العجوز: يُمكنك مناداتي بـ ستوريا.

إِذَنْ أين سنذهب الآن يا ستوريا؟

وضع ستوريا يده على رأس هاري وقال: سنذهب لرؤية الملك المُشاغب.

وجد هاري نفسه فجأة يجلس في مدرجات ملعب لكرة القدم، لم يكن يعلم أين هو بالتحديد ولكنه كان يعلم أنه في إنجلترا ألقى نظره على مقاعد البدلاء ليرى الشاب أليكس فيرجسون واقفًا على الخطوط، فعلم أنه يشاهد مباراة لـ مانشستر يونايتد، الجميع في المدرجات يهتف إيريك الملك.. إيريك الملك، وعلى أنغام غناء الجماهير وقف هاري يشاهد المباراة، جذب ريكارد

شومدافع كريستال بالاسإيريك كانتونا من قميصه ليقوم الأخير بركله ركلة عنيفة؛ فأظهر له الحكم البطاقة الحمراء لترغمه على الخروج من أرض الملعب، وعندما هَم الملك إيريك بالخروج، أهانه أحد مشجعي كريستال بالاس، فلم يكن من كانتونا إلا أنه طار برشاقة لاعبي الكونغ فو ليركل مشجع كريستال بالاس في صدره، قبل أن يخرج من الملعب غير مُهتم بأي شيء حوله.

هاري: ماذا سيفعل؟ كيف سيبرر فعلته تلك أمام الصحافة الإنجليزية والعالمية؟ كيف؟!

ستوريا: بطريقته الخاصة، بطريقة إيريك.. أُنْظُرْ.

وجد هاري نفسه في قاعة يملأها الصحفيين وإريك جالسًا أمامهم على المنصة، زادت الأسئلة عن الضربة التي وجهها إيريك لمشجع كريستال بالاس فوقف كانتونا قائلًا:طيور النورس تُلاحق سفن الصيادين؛ لأنها تعتقد أن هُناك سمكًا سيُلقى في البحر. بدت ملامح التعجب على وجه الصحفيين، لم يفهم أحد كلام كانتونا الذي تركهم في بحر من الدهشة والحيرة وخرج دون أن ينطق بكلمة واحدة.

سار هاري خلف إيريك الذي دخل إلى سيارته، نظر إليه سائقه فقال له إيريك: إلى المنزل.. ســـريعًا.

تحرك السائق بالسيارة وبداخلها إيريك وهاري وستوريا بالطبع، أعاد السائق النظرة لـ كانتونا، وقال له: هل تسمح لي أن أسأل سؤالًا؟

قال إيريك: بخلاف الركلة أرجوك.. اسْأَلْ؟

السائق: أنا لم أفهم كلماتك في المؤتمر، ماذا كانت تُعني؟

إيريك: لم تكن تعني شيئًا مُحددًا، الجميع كان متلهف لمعرفة سر الركلة تلك، احتَجْتُ فقط لبعض الغموض؛ لأُرفع كل تلك الضغوط عن كاهلي، كان عليك أن تكون مكاني وتُشاهد كل تلك الوجوه المحدقة بي دون أن تفهم، إنه شيءٌ كالسحر، ولكن يمكن أن نقول أن الصيادين هم لاعبي الكرة وطيور النورس هي الصحفيين، أما السردين فهي التفاهات التي ينتظرها الصحفيين بلهفتهم البلهاء تِلك.

نظر ستوريا إلى هاري وقال: لا أحد يستطيع رؤيتنا أو سماعنا ولكن علينا أن نختبئ في مكان آمن قبل أن تدق الساعة الثانية عشر صباحًا؛ لأننا لن نستطيع الخروج والاختلاط بالعوام من الثانية عشر صباحًا وحتى شروق الشمس، فلنذهب للاختفاء الآن، قبل أن تُفاجأ بمغامرتك القادمة.

هاري: أخاف أن نختبئ ولا نعود لمشاهدة التاريخ، لقد بدأت في تحقيق حلمي، لا تسلبني إياه أرجوك.

ستوريا مُبتسمًا: سنعود.. سنعود أعدك بذلك.

الحلم الثاني

جـنــة كـرة الــقــدم

شعر هاري بهواء لطيف يداعب وجهه فاستيقظ على الفور، ونظر حوله فلم يجد العجوز الذي اصطحبه من منزله إلى هولندا، ومنها إلى إنجلترا، ثم أتى به لهذا الملعب الذي استيقظ فيه هاري، شعر هاري بالخوف للحظات، فالشمس لم تكن أشرقت بعد، وهو وحيدًا في مكان غريب، ولا يعلم في أي بلدةٍ يكون.

لم يتركه ستوريا يغرق في خوفه أكثر من ذلك، جاء صوت العجوز من خلف هاري ليُطمئن قلبه من جديد: أنا هُنا يا هاري، لا تفزع.

هاري: آه أخيرًا، أين نحن الآن؟

ستوريا: نحن في جنة كرة القدم، نحن في إيطاليا يا عزيزي.

هاري: حقًا! وأي مباراة سنشاهد؟ وفي أي زمن نحن؟

ستوريا: أشرقت الشمس أخيرًا، أريد أن أُريك شيئًا قبل المباراة.

أغمض هاري عينيه من جديد وكأنه اعتاد على السفر مع ستوريا، فتح عينيه بعدما شعر بقدمه تقف على أرض صلبة، لم يفهم هاري وقتها لماذا يتواجد في هذا المكان، المكان ليس ملعب كرة بل طاولة اجتماعات يجلس عليها أعضاء، وعلى رأس الطاولة يجلس رجل أشقر يبدو أنه رئيس هذا الاجتماع، اقتربَ هاري من ستوريا وهمس في أُذْنه: مَنْ هؤلاء؟

ابتسمَ ستوريا وقال: هؤلاء هم مجلس إدارة نادي فيورنتينا، وهذا الرجل هو رئيس النادي، أريدك أن تشاهد القصة من أولها.

قال أحد الجالسين حول الطاولة موجهًا حديثه لرئيس فيورنتينا: لا يمكننا أن نفعل هذا، سنندم على هذا القرار حتى آخر يوم في حياتنا، كيف نبيع أفضل لاعب لدينا؟ كل إيطاليا تحسدنا عليه.

وقف رئيس الفيولا وتعبيرات وجهه ممتلئة بالحزن والغضب، وقال: أنا أعلم كل ماتقوله يا ألفريدو، بل أحفظه عن ظهر قلب، وأُعيده على مسامعي كل يوم قبل أن أذهب للنوم، ولكن ماذا عليّ أن أفعل؟ النادي يتعرض لضائقة مالية لم يتعرض لها من قبل، ماذا تريدني أن أفعل؟ أبيعه أم أُعلن إفلاس فيورنتينا؟

لقد انتهى الأمر، أرسلت ليوفنتوس أُبلغهم أنني أوافق على العرض الأخير، العرض لا يمكن رفضه خاصَّة في تلك الظروف.. انتهى الاجتماع.

قام الجميع من مجلسهم وتوجهوا إلى باب الغرفة، وعادوا إلى منازلهم بخُفَّيْ حُنَيْن.

نظر هاري لستوريا وقال: أنا لا أفهم شيء عمن يتحدثون؟ مَنْ هو هذا اللاعب؟

قال ستوريا: ستعرف بعد قليل ولكن اُنْظُرْ لتلك التظاهرات التي أمام النادي، فهي تُندد ببيع اللاعب إلى يوفنتوس.

نظر هاري إلى التظاهرات وتجول معهم في الشوارع، التظاهرات تطورت إلى أعمال عُنف فوجه حديثه لستوريا مُجددًا: هل كل هذا بسبب بيع

لاعب؟! أي لاعب هذا؟ أنا لا أعرف تلك القصة ولكن لابد وأنه مُهم جدًا لجمهور الفيولا.

وضع ستوريا يده على كتف هاري من جديد، ولكن تلك المرة وجد هاري نفسه واقفًا في غرفة خلع الملابس الخاصة بفريق يوفنتوس الإيطالي، كانت الغرفة هادئة على عكس صوت الجمهور الذي يُسمع صداه من داخل الغرفة.

هاري: الغرفة فارغة، لماذا جئنا إلى هُنا؟

ستوريا: -مُشيرًا إلى أحد اللاعبين- لا ليست كذلك.

صُدم هاري عندما وجد أمامه روبيرتو باجيو مُرتديًا قميص يوفنتوس وعيناه دامعتان، كان يبدو أن باجيو يتحدث مع شخص ما، ولكن إلى مَنْ يتحدث؟ لا يوجد أي شخص في الغرفة، اقترب هاري قليلًا ليكتشف أن باجيوكان يتحدث إلى نفسهِ، باجيواليوفي يتحدث إلى باجيو فيورنتينا.

باجيواليوفي: أُخرج من هُنا، فريقك بالكامل في الممر المؤدي للملعب، لا تجعلهم ينتظرون.

باجيوالفيولا: أشعر أنني لو خرجت من هُنا سأنضمّ لركب فيورنتينا، سأنسى أنني انضمَمْتُ ليوفنتوس.

باجيواليوفي: مِنْ الآن أنتَ لاعب لليوفي، اليوفنتوس فريق كبير، أكبر من فيورنتينا، يمكنك تحقيق المستحيل بالرداء الأبيض والأسود.

باجيوالفيولا: اليوفي فريق كبير بالتأكيد، لكن أنا فقط لا أستطيع، لا أعلم كيف أواجه الأمر، كيف لي أن أتجه لجمهور غير جمهور الفيولا لأتلقى منه التحية وأردها له؟ كيف؟!

سمع باجيو فيورنتينا وَقع خطوات اقتربت من الغرفة فاختفى سريعًا، وكأنه لم يكن موجودًا من الأساس، جاء صوت عامل غرفة خلع الملابس من خلف الباب روبيرتو.. الفريق بانتظارك، جفف باجيو ما تبقى من دموعه وخرج لينضم لفريقه الجديد يوفنتوس، خرج هاري خلفه سريعًا، ولكن ستوريا أخذه وذهب به إلى المدرجات قائلًا: إن باقي القصة لابد أن يُشاهد من أعلى.

جلس هاري في المدرجات وما إن بدأت المباراة إلا وبدأ معها هتاف جمهور الفيولا ضد باجيو، كان الأمر غريبًا حين لمح هاري أحدهم يهتف ضد باجيو بغضبٍ عارم، وهو يرتدي قميص باجيو في فيورنتينا، حيث لمح دموعًا في عين مشجع الفيولا وهو يهتف ضد باجيو، استدار هاري وسأل ستوريا: لماذا يهتفون ضده وهم يحبونه كل هذا الحب؟

ستوريا: لأنه يعشقهم وهُم يعلمون ذلك، وهُم يعشقونهُ وهو يعلم ذلك أيضًا، ربما يهتفون ضده من فرط حبهم له، فالأمر مُعقد، والمعادلة صعبة للغاية.

عاد هاري لمتابعة المباراة، الحَكم يحسب ضربة جزاء لـ يوفنتوس، وباجيو هو المسئول الأول عن تسديد ضربات الجزاء، نظر باجيو للكرة تارة ثم إلى جماهير الفيولا تارة أخرى، أما باجيو فكان قد اِتخذ قراره، وهو أن لا يسدد ضربة الجزاء في مرمى فيورنتينا، ولن يحرز هدف فيهم.

أشاح باجيو بنظره عن الكرة واِتجه مُبتعدًا عنها وسددها لاعب آخر، ولكن أضاعها بديل باجيو في التسديد؛ وبضياع تلك الركلة خسر فريق اليوفي يومها.

أخرج المدرب باجيو من الملعب بعدما رفض تسديد الكرة، نظر باجيو على لوحة الأرقام التي تشير إلى تبديله وأحس بحمل ثقيل على عاتقه؛ فقد جاءت

اللحظة التي كان يتمنى ألّا تأتي أبدًا، حان الوقت الآن لمواجهة مباشرة بين الديبين كودينوباجيو وجمهور الفيولا، فدمعت عيناه وهو يغادر المستطيل الأخضر، وعلى الجانب الآخر جماهير الفيولا الحانقة.

وقف المُشجع الذي يرتدي قميص باجيو، يهتف ويهتف ويهتف.... وما أن رأى باجيو فألقى عليه وشاحًا عليه شعار فيورنتينا، طار الوشاح حتى سقط أرضًا، رغم أن الرؤية لم تكن واضحة لدى باجيو من أثر الدموع التي ملأت عينيه، والتقط باجيو الوشاح حينما رأه على الأرض، ووضعه على رقبته بعد أن قبّله، ربما كانت تلك القُبلة اعتذار رسمي من باجيو للجماهير، أو أنه لم يستطع أن يرى شعار الفيولا واقع على الأرض.

دون أن يشعر ورغم أنه ليس مُشجعًا لـ فيورنتينا، إلّا أن هاري وجد نفسه يبكي بعد رؤيته لهذا المشهد، فقد تأثر لدرجة جعلته يبقى في المدرجات حتى رحل الجميع.

اقترب ستوريا من هاري وقال له سنبقى في إيطاليا اليوم، وغدًا سنطير إلى إسبانيا، ومنها إلي ألمانيا، وقد نمر على إنجلترا مرة أخرى، ولكن كما ترى لقد تأخر الوقت ويبدو عليك التعب، سنختفي قبل أن تدق الساعة الثانية عشر صباحًا، ارتاح قليلًا فلدينا يوم حافل غدًا.

صمت هاري قليلًا ثم قال لستوريا: أنا مُمتن لوجودك هنا، مُمتن لظهورك، ومُمتن لوقت اكتمال الأمر، أنا الآن أحقق أحلامًا حلمتُ بها منذ زمن طويل.

ستوريا: الأحلام خُلقت لتتحقق، تذكر ذلك دائمًا، هيا بنا الآن، وغدًا سنعود.

نطلق ستوريا وتبعه هاري بعدما ألقى نظرة أخيرة على المدرجات، سار هاري خلف العجوز وجملة واحدة تتكرر في عقله.. غدًا سنعود.

الحلم الثالث
لحظة اكتمال القمر

كانت المرة الأولى التي يتجرأ فيها هاري ويسافر مع ستوريا دون أن يغمض عينيه، ربما ما رأه في تلك الثواني هو أفضل ما في رحلته؛ رأى نفسه طائرًا فوق شبه جزيرة تعانق بحرًا ومحيطًا وسلسلة جبال، كان يحلم دومًا بأن يطير، لا يصدق أن جميع أحلامه تتحقق الآن بسبب أمنية تمناها وقت ابتسام القدر له، اقترب أكثر وبدأ شكل شبه الجزيرة يتلاشى، وأصبحت الصورة أكثر وضوحًا، حيث هبط في ملعب كرة قدم.

لم تستغرق ابتسامة هاري الطفولية أكثر من ثوانٍ قليلة، فقد أشارستوريا بيده إلى الملعب ليلفت نظر هاري أن الفريقين قد نزلوا إلى الميدان.

تحول نظر هاري سريعًا إلى الملعب ليتأكد أن المباراة التي يشاهدها هي مباراة الكلاسيكو بين ريال مدريد وبرشلونة، لكن يبدو أن الأمر لم يكن مُمتعًا له، فهو يعلم نتيجة المباراة بأنها ستنتهي (٥-٠) لصالح ريال مدريد.

نظر هاري إلى ستوريا -وكأنه خيب ظنه هذه المرة- وقال له: أعلمُ نتيجة تلك المباراة، وأعلم أنها انتهت بنتيجة ثقيلة لصالح مدريد، ربما لا أتذكر من أحرز الأهداف ولكن الأمر غير مُمتع مقارنة بما رأيته من قبل.

ستوريا: لا تعتاد أن تُطلق أحكامًا مُبكرة، أُنْظُر إلى الملعب الآن.

نظر هاري إلى الملعب مُستاءً، ولكن هذا الاستياء لم يستمر كثيرًا، نظر ليجد أحد لاعبي مدريد يحرز هدفًا وينطلق نحو جماهير الأبيض مُشيرًا إلى

قميص وشعار ريال مدريد، جن جنون جماهير البلانكو ريال مدريد من حول هاري، وهي تحتفل مع لاعبها لويس إنريكي بعد هدفه في الغريم التقليدي برشلونة.

هاري: ستوريا.. هل هذا هو لويس إنريكي نفسه مُدرب برشلونة الحالي؟ هل كان يلعب في ريال مدريد؟

ستوريا: نعم، لويس إنريكي كان معشوق جماهير ريال مدريد، ولكن لا شيء يستمر كما هو إلى الأبد..لا شيء. إنريكي ظل مدريديستا لمدة خمسة أعوام، قضاهم في أحضان البيرنابيوقبل أن ينتقل مباشرة إلى برشلونة، دعني أُريك ما حدث بعد خمس سنوات من وقتنا هذا.

من جديد وجد هاري نفسه جالسًا في ملعب سانتياجو بيرنابيو، مع جماهير ريال مدريد وفي لمح البصر استطاع أن يُميز لويس إنريكي، ولكن هذه المرة كان يرتدي قميص البلوجرانا برشلونة، وكأن المشهد يُعاد من جديد مع بعض الاختلافات، يحرز إنريكي هدفًا لكن في ريال مدريد، ثم يركض نحو جماهير ريال مدريد في قلب البيرنابيو، يحتفل نفس الاحتفال الذي احتفله معهم منذ سنوات، ولكن هذه المرة لم تكن جماهير البلانكو سعيدة؛ فمعشوقهم السابق يشير بيده الآن إلى شعار برشلونة وقميصها، البعض لم يصدق ما كان يحدث أمام عينيه، والبعض الآخر لم يجد سوى إطلاق اللعنات علىاللوتشو إنريكي، مما جعل الجميع يصف لويس إنريكي بالخائن.

فتح ستوريا ذراعيه ليظهر بينهما لوح زجاجي أشبه ببلورة سحرية، نظر هاري بداخلها ليرى تاريخًا يمر أمام عينيه، إنريكي يسجل هدفًا أخر في مدريد، إحصائية تقول أن إنريكي لم يخسر أمام فريقه السابق سوى مباراتين من أصل تسع مباريات، إنريكي يرفع كأس الملك كقائد لبرشلونة بعد فوزه على ريال بيتيس في ملعب السانتيجوبيرنابيو أيضًا، وبجانبه لويس

فيجو بقميص برشلونة، لويس فيجو نفسه يستعد للعب ضربة ركنية وهو يرتدي قميص ريال مدريد، ولكن جماهير برشلونة ألقت عليه رأس خنزير جزاءً لخيانته لهم، وذهابه للغريم مدريد.

هاري: إذن كلا اللاعبين فيجو وإنريكي يُعتبرا خائنان من وجهة نظر جماهير فريقهم القديم، أنا أعشق تلك التفاصيل في كرة القدم، أنا أعشق هذا الجنون.

ستوريا: حسنًا. فلنشاهد الجنون بلغة أخرى.

هاري: أريد أن أعرف كيف أنني قادر على فهم كل تلك اللغات، وأنا لا أعلم عنها شيئًا؟

ستوريا مُمسكًا بذراع هاري مُستعدًا لرحلتهم التالية: ساعة الحظ يا عزيزي -ساعة اكتمال القمر- تتعجب من فهمك للغات المُختلفة، ولا تتعجب من ذهابك لتلك البلدان طائرًا في السماء في غضون دقائق؟ ثم أردف مُبتسمًا: استعد يا هاري فـ ألمانيا بانتظارنا.

يبدو أن ستوريا كان على عجلة من أمره، فلم يعطِ لهاري فرصة للاستمتاع برحلته لألمانيا كما استمتع بسابقتها إلى إسبانيا.

شعر هاري بدوار مرة أخرى من السرعة التي تولى بها ستوريا زمام الأمور، ولم يستفق من دواره سوى على أصوات جماهير بروسيا دورتموند وهي تُهلل وتحتفل بهدف مهاجمها التشيكي يان كوللر في الغريم البافاري بايرن ميونيخ.

هاري: آه هذا المهاجم طويل القامة، أذكرهُ جيدًا كنت من معجبينه عندما بدأتُ مشاهدة كرة القدم، كنت أشاهد مباريات منتخب التشيك لأراه هو وبافل نيدفيد.

مر الشوط الأول دون أحداث تُذكر، بدأ الشوط الثاني وتعادل البايرن ثم أضاف الثاني، وانتصف الشوط وأنهى بروسيا تبديلاته الثلاثة، وما أن دخل التبديل الثالث لـ دورتموند إلى أرض الملعب، إلا وأشهر الحكم الكارت الأحمر في وجه ليمان حارس مرمىالبروسيا، مرت ثواني من الصمت والحيرة، الكل في الملعب يعلم أن دورتموند أنهى تبديلاته، والحارس البديل لن يخطو بأقدامه أرض الملعب، وقبل أن تزداد حيرة الجميع ظهر المهاجم يان كوللر كظهور الأبطال الخارقين في أفلام هوليوود، تفاجأ الجميع بكوللر يرتدي قميص ليمان وقفازيه ليذهب هو للمرمى ويحميه من هجمات البافاري بايرن ميونيخ، مهاجم دورتموند أصبح حارس مرماها الآن.

خرج أوليفر كان حارس مرمى بايرن ميونيخ من مرماه يعطي التعليمات لرفاقه، كيف يسجلون في مرمى يحرسه مُهاجم، يشرح لهم أين وكيف يسددون لاستغلال نقطة ضعف الخصم، فعندما تعلم أن من يقف في مرمى الخصم هو مهاجم، عليك أن تحاول أن تخرج من الملعب بنتيجة تاريخية لك وفاضحة لخصمك، حاول البافاري أن يزيد عدد الأهداف، أطلق لاعبوه التصويبات من كل حدب وصوب ولكن كولر كان دائمًا لها، تصدى كولر لكرات البايرن الخطيرة، لعل أبرزها الإنقاذ الرائع من الألماني مايكل بالاك؛ فوقف الجميع بما فيهم هاري يصفقون لكولر الذي أظهر براعة في مركزه الجديد، فعلى الرغم أن دورتموند خسر تلك المباراة إلا أن شباك كولر لم تلمسها كرة واحدة، كوللر حافظ على نظافة شباكه للنهاية.

وقف هاري غير مُصدقٍ لما يحدث أمامه، وجه حديثه لـ ستوريا قائلًا: أتمنى لو أرى ما ستقوله الصحافة الألمانية عن هذا الحدث، وقبل أن يُنهي كلماته كان ستوريا قد أخرج له مجلة كيكر الألمانية، التي تختار الفريق المثالي للدوري الألماني بعد انتهاء كل جولة من البوندزليجا، المفاجأة لم تكن تواجد كولر في تشكيل الفريق المثالي، بل تواجده على رأس التشكيل كأفضل حارس مرمى لتلك الجولة.

فرد الظلام أجنحته على السماء فلم يعد للنور وجودًا، أمعن هاري النظر مرة أخرى ليتحقق مما يراه، القمر غير مُكتمل، لكنه على وشك الاكتمال، نظر خلفه ليسأل ستوريا كم من الوقت مر عليهم وهم غارقين في رحلتهم؟ وكيف لم يكتمل القمر إلى الآن؟ لكن ستوريا لم يكن موجودًا، لم يكن هناك سوى صور لاعبيه المفضلين المُعلقة خلف فِراشه، وساعة الحائط على جانبه تدق لتعلن إشراقة يوم جديد، نظر إلى الساعة وهو يجهل تمامًا ما يحدث حوله، العقارب تشير إلى الثانية عشر صباحًا، يعاود النظر أمامه مرة أخرى ليجد صورته تطل عليه من المرآه مُبتسمة، حملق هاري في شبحه المبتسم أمامه قبل أن يغمض عينيه ويتمتم:أتمنى لو كُنت موجودًا في كل العصور الكروية تلك، أتمنى لو كنت عاصرت كل هؤلاء النجوم، وعرفت حكاياتهم وسمعت قصصهم، ورأيت بعيني ما كانوا يفعلونه بالكُرة..فقط اتمنى

الـــــرثـــــاء

كان ظلام القاعة أشبه بظلام القمر في طوره الأخير، وضوء خافت مُسلط على رجل مُنمق يرتدي الزي الرسمي كاملًا، ألقى التحية على الحاضرين في القاعة ثم صمت قليلًا، وكأنه يُحاول تجميع أفكاره.

ألقى نظرة على صورة تبدو قديمة على شاشة عِملاقة خلفه، ثم أعاد النظر للحضور مرة أخرى وقال: لم أكن أحلم يومًا ما بأن أتواجد هُنا، لم أكُن أحلم أن يُنطق اسمي هُنا مقرونًا بلقب الفائز بجائزة الكُرة الذهبية لهذا العام، أفضل لاعب في العالم هو شرف كبير، شرف يُزيد من صعوبة مُهمة حامله في الأعوام المُقبلة، لقب سيجعل العيون عليه طالما خَطت أقدامه العُشب الأخضر، سيزيد طموحه و مجهوده مع كُل عين جديدة تنظر إليه؛ لذلك أود أن أشكر كُل من صوّت لي في تِلك الجائزة، أشكُر زملائي في الفريق فبدونهم لما كُنت واقفًا هُنا أحمل تِلك الكُرة، وأشكر كُل مُدير فني دربني يومًا ما، و أشكر عائلتي بكل تأكيد.

لكن هُناك شخصين آخرين يتوجب عليّ شُكرهما، شخصين للأسف فارقا الحياة مُنذ فترة، ذهبا ولم يتسنّ لي أن أقول لهما إلى أي مدى أثرا في رحلتي إلى هُنا.

عندما كُنت طفلًا صغيرًا لا يعرف عن الكُرة إلا القليل، كُنت أُفضل أحدهما على الآخر، كانت مشاعر عادية لمُشجع يميل للاعب فريقه أكثر من لاعب الفريق المُنافِس، ولكن الأمر لم يثبت عند هذا الحدّ فقط، وجدت نفسي يومًا ما أكره أحدهما بالفعل، أكرهه من كُل قلبي، لا أعلم لماذا تطور الأمر بتِلك الطريقة، ربما لأن مُشجعي الفريق الآخر كانوا يصورونه على أنه كُرة القدم نفسها، وأي إنجاز يُحققه اللاعب الآخر يرونه عديم الفائدة حتى ولو

كان عظيمًا، كانوا يُحاولون التقليل من كُل إنجاز حققه لاعبي المُفضل، اكتشفت أنني كُنت أفعل نفس الأمر مع لاعب فريقهم، لم أكن اعترف بإنجازاته مهما عظُمت، ومهما كانت رائعة في تلك الفترة.

ويومًا ما وقعت عيني على اللاعبين يصافح كُلًا منهما الآخر قبل وبعد مباراة الكلاسيكو، ويتبادلان أطراف الحديث ويبتسمان، أما أنا وأصدقائي مازلنا نُطلق عليهم اللعنات كُلًا حسب انتمائه.

كُنت قد بدأت ممارسة كُرة القدم حينها بالفعل، وقررت أن أشاهدهما بعين لاعب الكُرة المُحب، وليس بعين المُشجع المُتعصب، استمريت في متابعتهما مع استمتاعي بما يقومان به في الملعب، كنت أتعلم منهما كيف أصبح أسطورة، استمتع بسِباق كسر الأرقام القياسية الذي لم ينتهِ يومًا بينهما، رأيتهما يأتيان إلى هُنا كُل عام، لم تخلو القاعة من أحدهما يومًا ما، شعرت بأنني محظوظ لكوني شاهدتهما كمُشجع، ولأنني تعلمت منهما كناشئ.

أقف هُنا اليوم وأُهدِي الكُرة الذهبية لروحرالراحلان كريستيانو رونالدو و ليونيل ميسي، الذكرى الطيبة التي تركتموها ستظل في القلب دائمًا، أعطيتم دروسًا لأجيال وأجيال، وشرفت بكوني مُتلقي لدروسكما، شُكرًا لكل ما فعلتموه لكرة القدم، وما قدمتموه لي حتى وإن كُنتم تجهلان إلى أي مدى استفدتُ من مسيرتكما في الملاعب.

الموت.. هو أمر طبيعي يحدث كل يوم، نحزن بكُل تأكيد على من رحلوا، ثم نعتاد بعد ذلك، نعتاد على رؤية مكان أحدهم فارغ، ربما يؤلمنا ذلك ولكنه يصبح أمر واقع لا ناقة لنا فيه ولاجمل.

يموت الناس كل يوم، ولكن ذكراهم تبقى للأبد، ميسي ورونالد لن تُمسح ذكراهم من ذاكرة كُرة القدم، فـالأساطير لا تموت، اليوم نقِفُ احترامًا

لذكراهم بمُجرد سماع اسمهما، ولا نذكر شيء في مسيرتهما إلا ما قدموه لكُرة القدم، أعتقدُ أن أصدقائي مازالوا في مكانٍ ما يتبادلون السُباب وأمامهم إحصائيات تُثبت أن رونالدو كان الأفضل، وإحصائيات أخرى تُثبت أن ميسي كان الأفضل، ولكن التاريخ لا ينسى العظماء، فـالتاريخ يَذكُر من يعمل.. لا من يتحدث فقط.

الرقص على قبر تاتشر

جمهور كرة القدم هو مَنْ يصنع الأساطير، يُخلدهم في أغانيه، لافتاته واحتفالاته، أن تُعادي الجمهور يعني أنك ستُعادي الحاضر والمُستقبل، فذاكرة جمهور الكُرة لا تضعف، رايات الحُب والكُره تُسلم من جيل إلى آخر، ذاكرة مجاذيب كُرة القدم حديدية رُبما أكثر من تاتشر نفسها.

بعد كارثة هيلسبرة والتي راح ضحيتها ٩٦ من جماهير ليفربول، بسبب استهتار وإهمال الشُرطة، حاولت الدولة المُتمثلة في رئيسة الوزراء مارجرت تاتشر أن تُبرأ نفسها مما حدث، وألقت التُهم بالكامل على مُشجعي ليفربول، وتحويل الحادث إلى حادث شغب جماهيري، واتهمت السُكارى الهمج بأنهم من تسببوا في الكارثة، وكان لِوقع هذه الكلمات والصفات على الجماهير ألمٌ شديد وحزن؛ حيث أنها وصفت كل الجماهير بما فيهم الضحايا بالسكارى والهمج، فكان ذلك بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير، وأصبح العداء رسمي وواضح للجميع، بين جماهير كُرة القدم خاصةً جماهير ليفربول وبين رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر.

ظلت جماهير ليفربول على مدى ٢٣ عامًا تُطالب بتحقيق العدالة، وكشف الحقيقة بأن الشُرطة هي المسئولة عن الحادث وليست الجماهير، ورفعت الجماهير لافتة كبيرة كُتب عليها "اكشفوا الحقيقة قبل أن تموت تاتشر"، فالجميع يعلم أنها كانت مُذنبة، وكانوا ينتظرون أن تنال تاتشر جزائها؛ وفي عام ٢٠١٢ كشفت التقارير أن إخفاق الشرطة في السيطرة على الأحداث كان السبب الرئيسي في سقوط الضحايا.

وألقى التقرير أيضًا الضوء على التستر على السلطات التي سعت بانتظام إلى إلقاء اللوم على المشجعين أكثر من الشرطة وخدمات الإسعاف .

وقال رئيس الوزراء البريطاني حينها ديفيد كاميرون أنه يشعر بعميق الأسف لأن الحقيقة ظهرت بعد ٢٣ عامًا من الكارثة.

وبعدما ظهرت حقيقة أن المرأة الحديدية كما كان يُطلق عليها تاتشر التي ظلت في منصبها لمدة ١١ عامًا متورطة في الكارثة، فأصابها المرض فحملت جماهير ليفربول لافتة كبيرة كُتب عليها "سنحتفل عندما تموت العجوز الشريرة تاتشر"، أُعلن بعدها بفترة قصيرة في المملكة المُتحدة خبر موت تاتشر، رُبما ارتسمت مراسم الحُزن المُصطنع الذي يدخل تحت بند "الإتيكيت والبروتوكول" في الدولة ومفاصلها السياسية، أما جمهور كُرة القدم فكان موت تاتشر بالنسبة له هو تحقيق العدالة الإلهية وعودة حق الـ ٩٦ ضحية، ظهرت مُظاهرات الفرحة العارمة في شوارع ليفربول والمُدن المجاورة، حفل كبير في مدينة ليفربول، رُفعت لافتات في الشوارع كُتب عليها "أَرقِدي في العار"، "لقد ماتت العاهرة" وعلى الحوائط كُتب "تعفني في الجحيم".

أما جماهير ليفربول فقد رفعت في المُباراة التي جمعتهم بفريق ريدينج لافتات مثل "لم تهتمي عندما كذبتي، ونحن لا نهتم بموتك"، "ماتت عجوز الشر، شمعة الـ ٩٦ تشتعل بفخر"، مدى الكراهية لم يصل لذلك فقط بل تعداه بمراحل؛ حيث يُقال أن هُناك من احتفل بالرقص على قبر تاتشر نفسها.

كل ذلك كان مؤثرًا في الأوساط العالمية بالطبع، ولكن رفض الاتحاد الإنجليزي لكُرة القدم فكرة الوقوف دقيقة حداد على روح تاتشر كان أقوى رد فعل لكُرة القدم نفسها ضد تاتشر، التي اختارت أن تُعادي كُرة القدم ومجاذيبها .وكتبت الجماهير حينها "دقيقة الحداد هي فترة طويلة جدًا، فترة لا تستحقها الحديدية التي تنصهر في الجحيم الآن".

الـــشـــــر
(١)

بين الحياة و الموت

كان يوم الأربعاء هو يومهم المُقدس، يوم مخصص لجلستهم المعتادة، يجلسون حول جدهم العجوز يقص عليهم قصصه التي لا تنتهي، يحكي لهم قصص مختلفة من كل مكان في العالم، كانوا دائمًا ما يسألونه كيف تعرف كل هذا؟ هل سافرت لكل تلك البلاد؟ لكن إجابته كانت تشبه معظم حديثه، غامضة للغاية، كان يجيب بنعم سافرت إلى كل تلك البلاد، ولكن دون أن أنتقلُ من مكاني هذا.

جلس الجد إديسون ومن حوله أحفاده، كانوا مختلفون في معظم صفاتهم إلا صفة وحيدة اجتمعوا عليها جميعًا بما فيهم جدهم إديسون وهي عشقهم لكرة القدم أكثر من أي شيء آخر.

وقف العجوز إديسون كأنه على وشك إلقاء خُطبة، ونظر إلى أحفاده ثم بدأ حديثه قائلًا: أُحْلُمُوا بحياة سعيدة طيبة، خالية من الشرور، ابتعدوا عن الظلام قدر الإمكان، توخوا الحذر، ولا تذهبوا أبدًا للجانب المُظلم من الحياة.

نظر إليه الحفيد الأكبر باولو وقال له: خطبتك غريبة تلك المرة يا جدي، لوهلة شعرت أنك تصلي من أجلنا، فلماذا قُلت "احلموا بحياة سعيدة"، ولم تقل "عيشوا حياة سعيدة، وما هو ذلك الجانب المظلم؟" بدا الجميع موافقون علىكلام باولو وينتظرون إجابة جدهم.

الجد: هنا على الأرض لا يمكنك أن تحيا حياة كاملة سعيدة، حتى الحياة نفسها لن تسمح لك بذلك، للحياة جانب مُظلم لا مفر من أن نتذوقه، ولكن الحلم هو السند في حربنا ضد الجانب المُظلم، الشرور في كل مناحي الحياة من حولنا يا أبنائي.

لمعت عين الحفيد الأوسط أرماندو، وأخيرًا شعر أنه على وشك أن يُفحم جده باكتشافه الرائع وهو أن في الحياة شيء لا يمتلك جانب مظلم، وقال له: أعلم أن الحياة غير عادلة، ولكن ماذا عن كرة القدم؟ أظن أنها أهم وأجمل ما في الحياة.

الجد: الكرة... بالنسبة لمن هُم على شاكلتنا فالكرة شيء مهم في الحياة، ولكن رغم حبي الشديد لها يجب أن أَعترفُ أن معشوقتنا ليست قديسة، وثوبها ليس أبيض.

اِرتسمت ملامح الدهشة على الأحفاد، فهي المرة الأولى التي يذكر فيها جدهم الكرة بسوء.

لم يعُطِهم العجوز فرصة للحديث، واسترسل حديثه قائلًا: الشر يتملك من الكرة أحيانًا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، الحزن في الكرة ليس على هزيمة فريقك المفضل فقط، بل هناك ما هو أقوى من ذلك ليجعلك تشعر بالحزن، إن الأشياء السيئة تحدث باستمرار.

اِعتدل الجدُ إديسون في جلسته فعلم الأحفاد أنهم على وشك سماع قصة جديدة من قصص جدهم.

فبراير الأسود عام ١٩٥٨، كان فريق مانشستريونايتد عائد من رحلته من بلجراد إلى إنجلترا، توقفت طائرة الفريق في ألمانيا لتتزود بالوقود قبل أن تهب تلك العاصفة الثلجية، وعند مواصلة الرحلة فقدت الطائرة توازنها،

سيطر الرعب على كل من في الطائرة ، وكانت أصوات دقات قلوب لاعبي اليونايتد، وبعض من الصحفيين، وأنصار الفريق أعلى من صوت تخبط الطائرة، وصوت محركها يزأر كأسد جريح على وشك أن يُصرع، فشلت محاولتين متتاليتين للإقلاع من مطار ميونيخ، فالجليد المتساقط كان أقوى من أي شيء، اختلطت الأصوات، والصرخات تتعالى، والصلوات تتوالى، أصوات متشابكة يمكنك فقط تمييز كلمة واحدة "النجدة.. النجدة"، وقف أحد أنصار اليونايتد أثناء المحاولة الثالثة للإقلاع يتحدث بصوت أعلى من الجميع صوت أقرب للصراخ يقول: "اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا، لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيــ...".

حسنًا كانت تلك هي آخر صلواته، الطائرة اصطدمت بأحد المنازل وانشطرت إلى نصفين. ٢٠ من أصل ٤٤ راكب على الطائرة لقوا مصرعهم، وكانت هناك العديد من الإصابات في حالة خطيرة، لحظات الرعب التي عاشها ركاب كارثة ميونيخ لم يمحِها شيئًا من ذاكرة الناجيين، ربما حتى فوز اليونايتد بدوري أبطال أوروبا بعد الحادثة بعشر سنوات بقيادة الناجيين "المدرب بسبي وبيل فولكس والسير بوبي تشارلتون" فما زالت آثار الرعب على وجوههم، أصبح الرعب ملازمهم، وصديقهم للأبد.

ساد الصمت.. ربما الصمت وحدهُ يستطيع التعليق على قصة الجد الأولى.

استطرد إديسون حديثه في مايو ١٩٨٥، نهائي كأس الأندية الأوروبية بين ليفربول ويوفنتوس، كان الجميع يعلم أن المباراة ستكون رائعة، جلست الجماهير في ملعب هيسل في بلجيكا ينتظرون المباراة، وكان الشر أيضًا ينتظر، ولكن انتظاره كان لغير انتظارهم، دون مقدمات كسر بعض مِن جماهير ليفربول الجدار الفاصل بينهم وبين جماهير اليوفي، تدافعت الجماهير، البعض يحاول الهرب، والبعض لم يغادر مكانه، والبعض لم

يستطع أن يغادر فالموت كان أسرع منهم جميعًا، أخذ يسير بينهم ويراوغ هنا وهناك، يشعرون به يمر من جانبهم وبمروره تتساقط الجثث على الأرض، وتُرفع الأرواح إلى السماء، ٣٩ جثة ملقاة على أرض المُدرج، ٦٠٠ مُصاب يحاولون الابتعاد عن أنظار الشر، أو ربما هو اكتفى بهذا العدد وعاد إلى مقعده من جديد، ينتظر الوقت المناسب ليتدخل مرة أخرى.

جلس الأحفاد أمام قصص جدهم، وكأنّ على رؤوسهم الطير، قبل أن يقطع الجد إديسون صمتهم قائلًا: قصص الجانب المُظلم كثيرة ولا تنتهي، سأقصها عليكم جميعها يومًا ما، سأحكي لكم عن فصول من التاريخ الأسود لأميرتنا الغير بريئة "كرة القدم"، ولكن الآن دعونا ننهي ما لم يستطع غيرنا إنهاءه وأخذ يردد "اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا، لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّير".

جـنـــود الـــمـــــوت

جئنا لسماع باقي قصص الجانب المظلم يا جدي، قالها باولو وهو يدخل مع باقي الأحفاد إلى غرفة جدهم إديسون.

ابتسمَ الجد بعدما حياهم وجلسوا ينتظرون أن يستكمل إديسون ما قد بدأه الأسبوع الماضي.

وقف إديسون أمامهم قائلًا: يبدو أن الشر شعر أنه مُقصّر ناحية جمهور ليفربول حيث كانت الوفيات قليلة من جانب جمهور الريدز في كارثة هيسل؛ فقرر أن يزورهم زيارة أخرى.

في الخامس عشر من إبريل عام ١٩٨٩، يوم مباراة نصف النهائي لكأس الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم بين ليفربول ونوتنجهام فورست، كان موعد وصوله إلى ملعب هيلزبره، جلس في مقعده يراقب وينتظر لحظة هجومه.

الكل مُتجه إلى الملعب، البَسمةُ على الوجوه لا تَقِل جمالًا عن الشمس الظاهرة على استحياء خلف السحب التي تعلوهم.

أسدل الشر عباءته السوداء ونظر باتجاه باب صغير يؤدي إلى المدرجات، وفجأة فُتح الباب بقوة وكأن أحدهم قد ركله بقدمه، يا الله! كم كان المشهد مأساوي، لا أحد يعرف ماذا يحدث، فكل ما يمكنك أن تراه أن هناك حشد يدخل من باب ضيق جدًا، لا يستطيع أن يمر منه شخصين سائرين على خطٍ واحد، وأخذ الشر يحلق فوقهم، حيث يمكنك سماع صوت ضحكاته المفزعة والتي تختلط بأصوات الأبرياء من تحته وهم يصرخون، صوتُ بشع لا يمكنك تحمله لثانية واحدة، فهو أبشع من مشهد الدماء ومشهد الجثث التي تتساقط واحدة تلو الأخرى، وقد غطى سواده على قرص الشمس في

السماء، وغابت الشمس عن الأنظار، وانتزعت الأرواح من الأجساد، وفي اللحظة التي أنهى فيها الشر عمله؛ كان هناك ٩٤ جثة ملقاة على أرض المُدرج، ولحق بهم ٢ من المصابين ليصبح المجموع ٩٦ جثة.

صرخ أرماندو: والحكومات؟ ورجال الشرطة والإسعاف؟ ما دورهم، وماذا يفعلون في مواقف مثل تلك يا جدي؟

إديسون: هـــاه... للشر وجوه كثيرة يا ولدي، للشر وجوه كثيرة، السلطة حينها أخذت تلقي اللوم على الجماهير، تارة يتهمونهم بأنهم كانوا مخمورين، وتارة أخرى يُخرجون تقارير تؤكد أن الجماهير هي من قتلت بعضها البعض بسبب التدافع.

وفي عام ٢٠١٢ كشف تقرير آخر أن إخفاق الشرطة في السيطرة على الأحداث كان السبب الرئيسي في سقوط الضحايا.

وألقى التقرير الضوء أيضًا على التستر على السلطات التي سعت بانتظام إلى إلقاء اللوم على المشجعين أكثر من الشرطة وخدمات الإسعاف.

وقال رئيس الوزراء البريطاني حينها ديفيد كاميرون أنه يشعر بعميق الأسف؛ لأن الحقيقة ظهرت بعد ٢٣ عامًا من الكارثة بشكل عشوائي.

كانت الصدمات أكبر من المتوقع للأحفاد، وخاصَّة للحفيد المنطوي ذو البشرة السمراء ميلا، وقف ليقاطع جدهَ لأول مرة وقال: أعتقد أن تلك الحادثة هي الأبشع.

فقال إديسون: كل حادثة هي الأبشع يا ولدي، البشاعة ليست مقياس لنقيس به الحوادث، بل هي ضلع من أضلاع كل حادثة.

وبالحديث عنها دعني أُحدثكم عما لا تستطيع البشاعة وصفه.

نظرات الأحفاد الحزينة لجدهم لم تمنعه من مواصلة قصصه المؤلمة عن الجانب المظلم من كرة القدم، اعتدل إديسون في جلسته وكأنه سيحكي قصة لا تصح قولها في جلسة غير معتدلة.

وقال: ربما اشتد ساعد الشَر مع الوقت فأصبحت ضربته أقوى، ربما أصبح يمتلك جيشًا من الأشرار، سافر على رأس جيشه إلى أفريقيا، إلى مصر تحديدًا.

١فبراير ٢٠١٢، مباراة في الدوري المصري بين المصري البورسعيدي والأهلي المصري.

ربما كان يعلم أنه على وشك إخراج أقبح ما في جعبته؛ لذلك أطلق إنذاره الأول، حيث نزل عشرات من جماهير المصري إلى أرض الملعب بين شوطي المباراة، لوح أحدهم بسلاح أبيض ناحية جماهير الأهلي، ولكن الإنذار كان قد انتهى سريعًا، وأعادوهم إلى مدرجاتهم مرة أخرى، أو ربما كان هناك جندي من جنود الشر يحاول أن يعمي العيون عن الحقيقة والإنذار، ولم يتم إلغاء المباراة.

أوشكت المباراة على الانتهاء، أما الشر فكان عمله على وشك أن يبدأ، المصري يحرز هدفه الثالث في شباك الأهلي، والشر يلقي أول تعويذاته على الملعب، نزل إلى أرض الملعب ألف أو ربما أكثر من جماهير المصري، والوضع يزداد سوءًا، ولا شيء يرجعهم إلى الخلف، وكان هناك صف من العساكر يقف أمامهم، ربما تظن أنه سيمنعهم من الوصول إلى مدرجات مشجعي الأهلي "الفريق الخصم"، ولكن هذا لم يحدث، فقد تفرق صف العساكر في المنتصف وأصبح كالباب يُفتح على مصراعيه لدخول الشر... الشر في كل مكان، وجنوده ينتشرون في كل الأرجاء، كل جندي يعلم وظيفته جيدًا، أحدهم يغلق بابًا، وآخر يلحم بوابة أخرى، فقد ملأ الشر عيون الأفواج الآتية من باب العساكر المفتوح، رائحة الموت مُخيفة.. مُخيفةٌ حتى قبل أن تُراق الدماء، يمكنك أن تشعر بها تلامسك كيد تقبض الأرواح، قُضي الأمر، وجنود الموت اتخذوا أماكنهم بالقرب من ضحاياهم.

وعلى الجانب الآخر هناك شباب يحاولون في ممر مُظلم مُغلق، ما بين أبواب مُغلقة و أخرى ملحومة، أن يبقوا على قيد الحياة أطول فترة مُمكنة... صديق لم يصل في الوقت المُناسب لإنقاذ صديقه، لا يوجد مفر.. تُريد أنتحيا؟ لن يعطوك فرصة لتحيا فمُت وأنت تُحاول.

حاول أن تصل إلى أرض الملعب دون أن تتعثر قدماك في جثة صديقك، لا تنظر إليه حتى لثانية واحدة، فمن المُمكن أن تُقتل في تلك الثانية، جنود الموت من حولك لن يرحموك، تشعر بالألم، بجرح غائر ولكن من كثرة وتتابع الضربات لم تعُد تعرف أين الجرح؟ أو من أين تأتي الضربات؟ لم تعُد تعرف هل هو ألم جسدي من جراء محاولة قتلك؟ أم ألم نفسي بسبب عجزك عن إنقاذ صديق؟ أو بسبب رؤية جثة صديق آخر على أرض المُدرج؟

وقف الشر بين ٧٢ جثة يبتسم ابتسامته الباردة التي تقبض القلوب،هو نفسه لم يكن يتوقع أن ينفذ جنوده خطته بتلك البشاعة!

اِنسحب بهدوء كما لو أنه لم يفعل شيئًا، والدماء تلطخ ذيل عباءته السوداء سواد الليل كأنها تلاحقه، عاد من حيث أتى، وأتباعه سرب من الغربان تحجب الرؤية، وتملأُ الأرض نعيق يقبض القلوب.

خيم الصمت على أرجاء الغرفة، فقد كان يمكنك سماع نبضات القلب، لم يجد إديسون ما ينهي به حديثه، حتى فصاحة لسانه وقفت عاجزة عن التعبير، فاكتفى بابتسامة مُصطنعة تبعها بما اعتاد أن يقول بعد ذكر الشر: "اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا، لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّير"

(٣)

الهدف القاتل

كان الشتاء قد بدأ يرسل إشاراته من كل حَدبٍ وصوب، وكأنها رُسُل أرسلها لتخبر الناس أنه على وشك الحضور.

دخلوا إلى المنزل مُسرعين مُختبئين من برد الشِتاء، وما هي إلا ثوانٍ وقابلهم جدهم إديسون وقد جهز لهم مشروبهم الساخن المفضل، ابتسم الأحفاد وحيوا جدهم الذي كان قد بدأ بالفعل في وضع الحطب في المدفأة العتيقة الموجودة في غرفته.

جلس ثلاثتهم أمام إديسون قبل أن يبادرهم الجد بسؤال: أَلم تفقدوا شغفكم بالكرة بعد كل ما سمعتوه عن شرورها؟

أرماندو: وهل شغف الكرة قابل للفقدان يا جدي؟ هذا لا يحدث لأمثالنا، دراويش كرة القدم لا يفقدون شغفهم أبدًا.

باولو: الأمر لا يتعلق بالكرة، ولكنه يتعلق بالشر نفسه، يجب أن نعترف أن الشر موجود في كل مكان حولنا كالهواء، مثل كل الأشياء لها جانبان: الخير والشر.

ابتسم إديسون واتخذ وضعيته المعتادة لإلقاء قصة جديدة، نظر إليهم قائلًا: الشر... الشر حاول مرارًا وتكرارًا أن يُفسد كرة القدم، تارة بإدخال السياسة والساسة عليها، ومؤخرًا بإدخال المال، ولكنها ستبقى مهما اِشتد الصراع.

وبصوت مفاجئ يُشبه صوت احتراق الخشب داخل المدفأة من خلفه بدأ إديسون في الحديث: بطولة كأس العالم عام ١٩٩٤ في الولايات المُتحدة الأمريكية توقع لها الكثير عدم النجاح، فكيف لكأس العالم أن ينجح في دولة تهتم بكرة السلة والبيسبول أكثر من كرة القدم، لكن ما حدث كان عكس المُتوقع وتوافد الجمهور على المباريات بكثرة.

وكان هو كالعادة مع الوافدين، وقف بذراعين متشابكين يراقب مسرح جريمته القادمة أثناء مباراة المنتخب الكولومبي مع نظيره الأميركي، المنتخب الأمريكي أكثر استحواذًا وأكثر خطورة، لاعب الولايات المتحدة يرفع كرة من ناحية اليسار، ينطلق أندريسإسكوبار لاعب منتخب كولومبيا نحوها محاولًا إبعادها عن المرمى وعن المهاجم، ولكن إسكوبار يُخطئ في التقدير ويضع الكرة في مرماه بدلًا من أن يبعدها عنه.

وقف إسكوبار بعد إحرازه هدفًا في شباكه بالخطأ ونظر ناحية الجماهير بحزن، ولكنه لم يرَ غيره، رأى الشر واقفًا هناك بعباءته السوداء ونظرته الباردة، شعر بالبرد يتفشى في جميع أنحاء جسده النحيل، إسكوبار نظر في عين الشر مباشرًة، لثوانٍ قليلة شعر بأن روحه على وشك أن تُقبض قبل أن يشيح بنظره بعيدًا عن المُدرجات، أعاد إسكوبار النظر للمدرجات مرة أخرى، فلم يجد الرجل ذو العباءة السوداء في مكانه، بحث بعينيه هُنا وهُناك

ولكن دون جدوى.

في اللحظة التي أطلق فيها الحكم صافرته مُعلنًا انتهاء المباراة بفوز أمريكا على كولومبيا، كان الشر يجلس مُتخفيًا في إحدى حانات كولومبيا خلف "مالو" الذي استشاط غضبًا بعد انتهاء المباراة بفوز الولايات المتحدة، أطلق اللعنات والسُباب على إسكوبار، فغضبْ مالو وعصبيته لم تكن فقط من أجل هزيمة في مباراة كرة قدم؛ بل لأن مالو أحد أعضاء المافيا

الكولومبية، اعتاد على أن يعيش على المراهنات، خاصَّة مراهنات كرة القدم، ومالو راهن أحدهم أن كولومبيا ستفوز أو ستتعادل، ولولا هدف إسكوبار لفاز مالو بالرهان.

لم ينقطع السُباب من فم مالو، كما لم ينطفئ السيجار بين أصابعه، وفي غمرة عصبيتهوسُبابه، ضرب أحدهم على المنضدة التي أمامه قائلًا: أنت مَدينٌ لي بـ ١٠٠.٠٠٠ *بيزو يا مالو.

- مالو: حسنًا.. غدًا ستصلك النقود إلى منزلك.

-عفوًا مالو لكننا نتحدث عن الأموال هُنا، أريد الأموال... الآن.

- مالو: -مشيرًا بيده لأحدهم- حسنًا حسنًا... أعطه حقيبة النقود.

أخذ الرجل حقيبة النقود وابتسم وهو يلوح لـ مالو أنا مدين لإسكوبار بالشُكر من أجل هدفه هذا، فكان هدف عكسي بـ ١٠٠.٠٠٠ بيزو، يا له من هدف، استمرت ضحكاته الساخرة تُعاد على مسامع مالو لساعات متتالية، ووقف الشر يُرسل نظراته الباردة لقلب مالو لتزيده قسوة على قسوته، بدى واضحًا

بيزو : العملة الكولومبية

للجميع أن ملامح وجه مالو قد تغيرت، فبعد عشرة أيام من المباراة وخسارته الرهان، كانت الهالات السوداء التي تُحيط بعينيه تُشبه ليل الشتاء وارتسمت عليه كآبة سوداء.

رآه الجميع يثمل كما لم يثمل من قبل، ووقف في منتصف الحانة صارخًا: ســـأقتله.

مر إسكوبار من أمام مالو الذي كان قد تتبعه لأيامٍ، مظهر مالو المُريب وأصوات خطواته البطيئة خلف إسكوبار أشعرته بالقلق، فتقدم بخطوات مسرعة مُحاولًا الابتعاد عن غريب الأطوار الذي يُلاحقه، ولكن رُصاصة مالو الأولى كانت أسرع من خُطاه.

صوت ارتطام جسد إسكوبار بالأرض كان أعلى من صوت الرصاصة، وتوالت الطلقات واختلطت بصوت ضحكات الشر المُفزعة، سالت دماء إسكوبار على الأرض حتى وصلت لأقدام الشر، فخطى عليها وسار مُبتعدًا.

١٢رصاصة في جسد إسكوبار الهزيل كانت هي عِقابه على إحرازه هدفًا في مرماه بالخطأ، ١٢ رصاصة أنهت حياته فقط لأن أحدهم قرر ذلك.

ساد الصمت بين الأحفاد الثلاثة لثوانٍ قليلة، ثموقف الحفيد الأصغر ميلا قائلًا: هل للشر القدرة على التحكم في مصائر البشر، كيف أَحكم قبضته على مالو حتى صار بتلك القسوة؟

نظر إديسون لثلاثتهم قائلًا: الشر يَطلب ولا يأمر، القوي سيرفض طلبه والضعيف سيعتبره أمرًا، ونحن من النوع الأول على ما أعتقد، أليس كذلك؟

هز الجميع رأسهم بالموافقة قبل أن يضم إديسون كفيه ويبدأ صلاته قائلًا "نصلِّي أن تنجِّينا من الشرير، حتى لا يمسّنا، ولا يزرع زوانه في حقل قلوبنا".

"اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا، لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّير".

(٤)

كارت احمر

نظر إديسون من شُرفة منزله المُتواضع نحو السماء، كان القمر مُخيفًا رغم اكتماله، ابتعدت عنه النجوم التي بدت أقل لمعانًا في حضرته، وكأن السماء تضيق بهما رغم عظمتها.

شعر إديسون بالمِثل عندما رأى أحفاده من الشُرفة وهُم على وشك الدخول إلى المنزل، شعر بضيق في صدره، فهو يعلم أنه سيحكي لهم قصة جديدة عن الشر الذي يكره الحديث عنه، ولكنه مُضطر أن يفعل ذلك؛ حتى يعلم الأحفاد ما يجهلونه، وليُعلِّمَهُم من جديد أن للحياة جانبًا آخر مُظلمًا لا مفر من أن يتذوقه الجميع، ولكن الحلم هو سندنا في حربنا ضد الجانب المُظلم.

دخل ثلاثتهم وجلسوا في أماكنهم بعدما حيوا جدهم، وكأنهم لا يُريدون أن يمر الوقت دون الاستماع لقصص الجِد إديسون.

رمق إديسون القمر المُخيف نظرة أخيرة قبل أن يُغلق شُرفته ويوجه الحديث للأحفاد قائلًا: هبط الشر مع الإنسان علىالأرض، الشر مخلوق كـ باقي مخلوقات الكون، ستواجهه يومًا ما، ربما ستصطدم به في طريقك إلى المدرسة، والجامعة أو حتى العمل، قد لا يلتفت إليك حينها ويمضي في طريقه وذلك لانشغاله بغيرك، وقد ينظر إليك بعدما تُعطيه ظهرك ويتتبعك أينما ذهبت.

رُبما هو الأقوى، رُبما يستطيع أن يسيطر لبعض الوقت ولكن نَفسه قصير، فهو لن يستطع الوقوف في معركة طويلة الأمد لذلك واجهوه، كُلما هدم حلمًا اِبْنُوا أحلامًا، كونوا له بالمرصاد، وأضيِئُوا شموسكم في قلب عتمته.

كانت نبرة الجد مُختلفة هذه المرة، كان يتحدث بحسرة من له ثأر، فشعر الأحفاد أنهم على وشك سماع أسوأ جرائم الشر على الإطلاق.

إديسون: تأتي كُرة القدم في البرازيل على رأس قائمة أولويات الحياة، يُقال أن كُل من كُتب في هويته الشخصية برازيلي يعرف جيدًا كيف يلعب كُرة القدم، وقد وصل الأمر هُناك إلى إقامة دوري للهواة له أندية وملاعب ومُدربون وحُكام.

٣٠ يونيو ٢٠١٣، داخل ملعب في ولاية مارينهو البرازيلية، وقف الشَر يبحث عن ضحيته القادمة، وعلى مرأى ومَسمعٍ منه بدأت المباراة بين فريقين من فرق دوري الهواة البرازيلي، نظراته تَقْترب نحو الملعب لتختار ضحيته الجديدة، نظرة جامدة لا ملامح لها، وكُلما اقترب من أرض الملعب اشتد البرد القادم من ناحيته، انطلق لاعب من خلف جوزنير أبريو بالكُرة فلم يجد جوزنير بُدًا من عرقلته، وقبل أن ينطلق بالكُرة أوقفته صافرة الحكم، أو رُبما البرد القارس الذي دب في كُل أطرافه، وضع جوزنير يده بين كفيه لأنه يعلم أنه سيحصل علي إنذار على فعلته تِلك، وما إن رفع وجهه حتى وجد الكارت الأحمر في انتظاره، رفعه الحكم أوتافيودا سيلفا في وجهه، كان هذا هو آخر مشهد مُنظم يُذكر من تلك الليلة المشئومة، لا أحد يعلم لماذا غضب جوزنير إلى هذا الحَد؟ أو لماذا تطور الأمر للتشابك بالأيدي؟ لا أحد يعلم كيف وصل السكين إلى يد الحكم؟!!

كادت علامات التعجب أن تصرخ من وجوه الأحفاد، وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة، بادرهم إديسون بجواب سؤال كانوا على وشك أن يسألوه وقال: نعم. سكين، واستطرد قائلًا دون مُقدمات: أظلمت السماء، أصبحت تُشبه قبرًا أُغلق على من بداخله، أصوات الرعد مرعبة كأن السماء تصرخ رافضة ما يحدث تحتها، لمعت السكين في يد الحكم دا سيلفا كالبرق قبل أن يطعن

جوزنير الذي سقط على الأرض متأثرًا بجراحه، نظر الحكم إلى أبريو مرة وإلى يده المُلطخة بالدماء مرة أخرى، ألقى بالسكين على الأرض ورفع نظره إلى السماء مُحاولًا استيعاب ما يحدث، لم يكن يصدق أنه قتل لاعبًا للتو.

وقف تحت الأمطار كالتمثال، والكئيبُ القبيحُ يحوم حوله، وكأنه لم يكتفِ من الدماء بعد، عباءة الشر السوداء أحاطت المكان كأنها خيمة كبيرة من الهلع، خيمة لا تحمي الرؤوس من الأمطار، ولن تحمي دا سيلفا من الجمهور الذي اقتحم الملعب بمُجرد رؤية دم جوزنير، وقف الشَر يعبث بأقدامه في بحيرة الدم، ويضحك ضحكته التي تقتلع القلوب من مكانها، وما هي إلا ثوانٍ معدودة، وكان دا سيلفا يُرجم بالحِجارة في الملعب من أصدقاء اللاعب وأقاربه وجمهوره، حجر تلو الآخر ينال منه، حجر تلو الآخر يُقرب الشر منه أكثر فأكثر، رائحة الموت المُخيفة تملأ أرجاء المكان، وعباءة الشر لمست دا سيلفا للتو؛ فسقط على الأرض، سقط في نفس المكان الذي وقع فيه جوزنير أبريو مُنذ دقائق قبل أن تأخذه سيارة الإسعاف، رائحة الدم لم تعد تُحتمل، وقبل أن يلفظ اللاعب جوزنير أبريو أنفاسه الأخيرة في طريقه إلى المشفى كان جسد قاتله المُمزق يرقد في بُحيرة من الدماء.

أعطى الشر ظهره للمكان وسار في طريقه يبحث عن ضحية جديدة، أعطى ظهره للملعب، وللمطر، ولدم جوزنير أبريو، وأوتافيودا سيلفا، ولصوت الرعد المُتشابك مع صوت سيارات الإسعاف.

لملم أطراف عباءته ورحل، وكأن شيئًا لم يكن.

نظر الجد لأحفاده فوجد الصغير ميلا يبكي وهو يحتضن أخاه أرماندو، ووجد باولو مُتحجرًا لا تتحرك شفتاه.

انتظرَ أن يبادره أحدهم بسؤال فلم يحدث، ذهب إلى الصغير ميلا، ووضع يده على رأسه وقال: لاتفزع يا صغيري، فـ أنتَ معك السر، معك سلاح ردع الشر، أنتَ معك المُستقبل والحلم.

هدأ الصغير بعد عِناق طويل مع العجوز إديسون، وابتسم بعد مُداعبات مرحة من أرماندو، وقبل أن يسأل أين باولو؟ وقع نظره على باوليتو كما يُحب أن يُناديه وهو يجثو على قدميه ويُردد بصوت عالٍ: "اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا، لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّير".

ممر الموت

منذ عام أو أكثر، وهو يحلم بالعودة إلى حيث ينتمي، ينتظر هذه اللحظة طويلًا، هناك فقط يشعر أنه على قيد الحياة، يُغني ويبكي ويفعل كل شيء بصدق كامل بعيدًا عن ازدحام الأفكار في رأسه، وتراكم المشكلات من حوله... هناك فقط يشعر أنه يتنفس.

ابتسمَ ابتسامة كان قد اعتقد أنه فقدها للأبد عندما وقعت عيناه على ملعب المُباراة، "ستاد الدفاع الجوي" راحت قدماه تُسابق الهواء ليصل إلى مدخل الملعب، وقف هُناك مع الواقفين تحت شمس الشتاء الدافئة ومشهد وحيد يُسيطر على مُخيلته مشهد يقف فيه في قلب مُدرج اشتاق إليه، وأمامه العُشب الأخضر يلمع كقمر ليلة التمام.

المشهد المثالي في رأسه تلاشى بمُجرد رؤيته لممر الدخول إلى المُدرجات، ممر طوله لا يتجاوز الـ ٥٠ مترًا، وعرضه لا يتجاوز الـ ٦ أمتار، رؤية الممر كانت مُخيفة، لا يعلم لماذا شعر بتلك الرعشة عند رؤيته؟ رعشة كانت قد امتنعت عن زيارة جسده منذ فترة ليست بالبعيدة، الرعشة المُصاحبة لكابوسه المُعتاد الذي يسقط فيه من طابق عُلوي. دخل الممر الحديدي على مضض وعلى أمل أن يصل قريبًا إلى مكانه المُفضل، تلاشى الدفء من حوله، وحُجبت الشمس بظل غُراب أسود يُحلق فوق الرؤوس، الممر أُغلق بفعل فاعل، أصبح كالقفص، سجن يُحيط به ويلوث المشهد المثالي في رأسه، يبدو أنه لن يرى العُشب الأخضر قريبًا.

قُضبان السجن الحديدي تضيق وكأنها تعتصر جسده لتمزق عظامه، نعيق الغُراب المؤذي لا يُقارن بأصوات إطلاق قنابل الغاز المُسيل للدموع، الأصوات كانت مُرعبة تخلع القلوب، أدخنة القنابل تتصاعد وتنتشر وهو يعجز عن مُبارحة سجنه، لا مجال للهرب... لا طريق للفرار... نسج الموت خيوطه على جميع الأبواب التي قد تؤدي للحياة، مشهد جنة العُشب الأخضر

يختفي تمامًا من رأسه ويتبدل بمشهد حرق أحدهم حيًا، رُبما سيُحرق هُنا هو الآخر، في هذا القفص الحديدي.

وضع يده على رامي السهم ذي الزي الفرعوني المرسوم على قميصه، وكأنه يستنجد به، يحاول قدر المُستطاع أن يتنفس ولكن الأمر لم يكن سهلًا على الإطلاق، الأدخنة ما زالت تتصاعد وتتصاعد معها أرواح من حوله، شعر بيد الموت تلتف حول عُنقه، لم يعد يحتمل الوقوف، صوت ارتطام جسده بالأرض رُبما كان عاليًا، ولكن أصوات الاستغاثة المُتشابكة مع نعيق غربان الموت كانت أعلى بكُل تأكيد، رفع رأسه للسماء التي كانت تختفي كُلما مر أحدهم فوق جسده غير القادر على الحركة، أحكم الموت قبضته على رقبته ولم يعد هو قادرًا على المقاومة أكثر من ذلك.

لم يعد يشعر بيد الموت حول رقبته، ربما لأنها كانت قد أنهت عملها هُنا بالفعل. نظر للسماء وهو يقترب منها أكثر وأكثر، وارتسمت الابتسامة على وجهه تلقائيًا عندما رَأى السماء وقد تحولت بأكملها لذلك العُشب الأخضر من جديد، وقبل أن تسكن القُنبلة الأخيرة بجانب رأسه كانت روحه قد تبعت من سبقوه واستبقت من تبعوه إلى السماء.

سلامٌ عَلَيْك، على ذكرك وعلى ذكراك، وعلى ما تبقى فينا من أمل... سلامٌ على روحك، وعلى أعيننا حين نراك، وعلى من استبقك، وعلى الشهيد المُحتمل.

إسكات موسيقىساندري مع سبق الإصرار

شعر جابرييل أنه لن يستطيع مواصلة الدراسة، هو ليس مُميزًا فيها؛ على أي حال قرر أن يترك الجامعة ويبدأ عملًا يُحبه، مرت الأيام وتتابعت وأصبح الشاب جابرييل "DJ" رُبما هو الأشهر في روما كُلها.

اشتهر جابرييل في روما وخارجها بموسيقاه واشتهر بين أصدقاءه بتشجيعه الجنوني لنسور العاصمة روما لاتسيو، مهنة جابريل الجديدة جعلته يختلط بنجوم المُجتمع في روما، موسيقاه كانت تُزين كُل الحفلات الكُبرى وأعياد ميلاد اللاعبين، حتى أصبح صديقًا لبعض لاعبي فريقه المُفضل بل وبعض أعضاء مجلس إدارة النادي الإيطالي.

11/11/2007الساعة السادسة صباحًا، ينظر جابرييل إلى ساعته وهو يلعب الأغنية الأخيرة في تلك السهرة التي امتدت للصباح، من الطبيعي أن يعود جابرييل إلى منزله ويحصل على بعض الراحة فمهنته الجديدة أجبرته على أن يجعل من ليله نهارًا ومن نهاره ليلًا، لكن يومها لم تكن الأمور طبيعية، يومها كانت مُباراة إنتر ميلانو ضد لاتسيو ستُلعب في ميلانو تحت سماء الجوسيبيمياتزا، الأمر لم يكن يحتاج إلى تفكير بالنسبة لجابرييل، هاتف أصدقاءه ورُفقاء الكورفا ليتجهوا من روما إلى ميلانو من أجل مؤازرة لاتسيو أمام النيراتزوري.جلس جابرييل في المقعد الأمامي للسيارة بالطبع ليتولى أمر الأغاني التي ستُصاحبهم إلى ميلانو، أخرج هاتفه المحمول وأرسل رسالة نصية قصيرة إلى صديقه دي سلفيستري لاعب لاتسيو كتب فيها " كُنت أعمل حتى السادسة صباحًا لكن ذلك لن يمنعني من مُشاهدة المُباراة لمؤازرتكم من الكورفا".

توقف جابرييل وأصدقاءه، احتاجوا لبعض الراحة قبل الوصول إلى الميلانزا، على الجانب الآخر اشتبك بعض من جمهور يوفنتوس الذاهب

لمُباراة فريقه مع بعض جمهور لاتسيو وتدخلت الشُرطة لفض الاشتباك، ضَربْ المُشجعين بالعصا لم يكن كافيًا للشُرطة فقررت استخدام الأعيرة النارية!

صوت الموسيقى في سيارة جابرييل ورفاقه كان أعلى من صوت الرصاص الذي يُضرب بحماقة، أخذ صوت الموسيقى ينخفض أكثر وأكثر ثم تلاشى نهائيًا أو هكذا شعر جابرييل قبل أن تستقر رصاصة في رقبته، كان نقله للمشفى بلا داعٍ، فروحه كانت قد فارقت جسده قبل أن يصل إلى هُناك.

الشهود على الواقعة أكدوا أن الرصاصة لم تكن طائشة، وأن الشُرطي سباكارويلا تعمد قتل جابرييل، لا أحد يعلم السبب، ولكن أن يقف أحدهم ويطلق رصاصة من مُسدس وذراعه يمتد بشكل طولي نحو القتيل هذا قتل عمد، وأي اتهام آخر سيوجه للشُرطي لن يرضي أي كورفا ولن يُصدقها أي فيراج.

في الوقت الذي انفجر فيه كلاوديو لوتيتو رئيس لاتسيو على أحد الصحفيين بعدما سأله هل ستُلعب المُباراة قائلًا: مُباراة؟ لن نلعب وأحد أبنائنا قُتل في الشارع والدماء تسيل على قميصه اللاتسيالي. كان مُشجعي نادي أتالانتا يرفضون أن يخوض ناديهم مُباراته ضد ايه سي ميلان وأحد المُشجعين قد قُتل على مرأى ومسمع من الجميع، رفض الاتحاد الإيطالي إلغاء المُباراة قبل أن يُجبر بأوامر الجمهور على ذلك؛ حيث ألقت جماهير أتالانتا كُل ما وصلت إليه أيديهم على أرض الملعب فاضطر الفريقين إلى مُغادرة الملعب، ومن ثم ألغى الاتحاد المُباراة كما ألغى مُباراة روما وكالياري قبل أن تُلقي جماهير روما الغاضبة الحجارة على رجال الشُرطة أمام الأوليمبكو.

- ما هي أكثر الأشياء التي أكرهها في كُرة القدم ؟

أكره الإصابات والتقدم في العُمر ولكن أستطيع التكيف على وجودهم، لكنني لا أستطيع التكيف على وجود بعض الأغبياء حول الكُرة، يحاولون مرارًا وتكرارًا إيذائها وإيذاء عاشقيها، يحاولون السيطرة عليها أو إدخالها في جُملة مُفيدة مع أشياء ليس للكُرة علاقة بها. أكره من أغلق الأبواب على ٧٢ عاشقًا ومن لم يفتح الأبواب لـ ٢٠ مُخلصًا، أكره مارجرت تاتشر والعدالة المُتأخرة وأكره من أسكت موسيقى جابريل ساندري.

كان الصبي خوليو عاشقًا للكُرة، تتلخص أحلامه في الوقوف على الخط الأبيض ويصنع المجد مُدافعًا عن المرمى من خلفه.

تحققت أُمنية خوليو بالالتحاق بفريق الشباب الخاص بنادي العاصمةالإسبانية مدريد الأول، الانضمام لريال مدريد كان بمثابة المُعجزة لخوليو، قطع خوليو عهدًا على نفسه بأن يبقى صانعًا للمجد مادام قلبه ينبض بالحياة.

بعد إجازة قصيرة وأثناء عودته من ماجاداهوندا كان الصبي مازال غارقًا في أحلامه، أغمض عينه وظل يتخيل مُستقبله الباهر لكنه لم يستطع أن يفتحها بعد ذلك، رُبما من الخوف الذي انتابهُ من صوت اصطدام سيارته بأخرى، أو لأنه لم يكن يستطيع التحكم في أيٍّ من أطرافه وقتها، لم يرد أن يفتح عينيه على واقع سيء بعدما أعطته تخيلاته كُل ما يُريد منذ قليل.

قُضي الأمر وخوليو مُجبر على فتح عينيه، المكان لم يكن كالمكان، كُل من حوله يرتدي الأبيض، لكنها ليست الجنة بكُل تأكيد فـ أصوات التأوُّهات من حوله لا يُمكن أن تتواجد في النعيم.

توقفت الحركة من حوله بمُجرد أن فتح عينيه، الآن بدأت الرؤية تتضح، خوليو يرقد على فراش في مشفى في العاصمة مدريد، أشار الطبيب لكُل من حوله بالخروج من الغُرفة، ووجه كلامه لـخوليو الذي ازداد توترًا.

خوليو.. ما سأقوله صادم ومؤلم، لكنه قد لا يُصبح كذلك إن عَرفت أننا كُنا نشك في أنك ستنجو من الأساس، الحادثة كانت قوية أكثر مما تتخيل، الارتطام أثر على بعض أطرافك، قد لا تستطيع السير على قدميك لمُدة طويلة، عام أو رُبما أكثر، أنا أسف.

كان وقع كلمات الطبيب أشد وطأة من وقع الحادث نفسه على خوليو، لم يكن الصبي يُريد أن يصدق ما قاله الطبيب، حاول مرارًا وتكرارًا أن ينهض من

فراشه، لكن دون جدوى، انتهى به الأمر واقعًا على الأرض لا يُريد أن يطلب المُساعدة من أحد، رُبما الصرخة التي صرخها كانت تفعل... خوليو لن يستطيع أن يسير على قدميه مرة أخرى.

الصورة تبتعد، الإضاءة تختفي رويدًا رويدًا وينتهي المشهد بصرخة الصبي المطروح أرضًا من قِبل المرض.

يبدأ مشهد جديد، ليس أقل بؤسًا من سابقه، خوليو على فراشه يرفض التحدث إلى أحد، فقط يُفكر في شيء واحد كيف تحول من حارس مرمى ريال مدريد إلى قعيد مُلازم للفراش؟

شعر لاديوماجدالينو مُمرض خوليو الخاص بالأسف للشاب الذي فقد شغفه ورغبته في الحياة، وفي مُحاولة بائسة لتحسين حالته أهداه جيتارًا، ربما كانت فكرة بائسة حينها، لكن رويدًا رويدًا أخذ الجيتار مكانًا في قلب خوليو، ليس بحجم المرمى والكُرة بالطبع، لكنه كان قد اِتخذ أولى خطواته إلى قلب الصبي.

تعلم خوليو العزف على الجيتار، كتب أغانيه الخاصة وألف موسيقاه، كلمات أغانيه اتسمت بالحُزن والسؤال عن ماهية الحياة، كان الجيتار هو العُكاز الذي تستند إليه روح خوليو، الروح التي استطاعت أن تسير قبل خوليو بل حلقت عاليًا، الروح هي المُرشد الذي جعله يقف أخيرًا على قدميه بعد عام ونصف قضاها خوليو على فراشه لا يستطيع الحركة.

كان على خوليو العمل لمساعدة أسرته، وخاصَّة والده الذي ترك عمله، وتفرغ لمجالسة خوليو لمُدة عام ونصف على أمل أن تدب الحياة في أقدام خوليو مرة أخرى، أول ما فعله خوليو بعدما عادت له القدرة على السير أنه سافر إلى لندن للعمل وتعلم الإنجليزية، كان يُغني في بعض الحانات لكسب قوته ومُساعدة أسرته.

لم يتوقف خوليو يومًا ما عن كتابة أغانيه الخاصة، نصحه البعض أن يُراسل شركات إنتاج الموسيقى لتصل كلماته لأحد المُطربين على أمل أن تنال إعجاب أحدهم فيُغنيها، بالفعل سجل خوليو إحدى أغانيه بصوته

وأرسلها لإحدى شركات الإنتاج، جاء رد الشركة غير مُتوقع على الإطلاق، سأله مُدير الشركة: لماذا لا تُغنيها بنفسك؟

رد خوليو: لأنني لست مُطربًا، فقال له إن الأمر يستحق المُحاولة، أنتج الرجل لخوليو أُغنية مُنفردة، لاقت نجاحًا مُنقطع النظير؛ فشجعه هذا أن يُنتج له ألبوم كامل، ولم يَقِل نجاحه عن أغنيته السابقة.

ومنذ ذلك الحين لم يُفارق النجاح خوليو، من مهرجان لآخر ومن جولة غنائية لأخرى حول العالم، حتى أصبح خوليو أشهر مُطرب في إسبانيا ومن الأشهر على الإطلاق حول العالم.

عاد خوليو لمنزله يومًا ما بعد إحدى حفلاته، نظر لطفله الصغير إنريكي وهو مُمسكٌ بكُرة قدم، حمله وأشار بيده لصورة قديمة لخوليو وهو يقف أمام المرمى في تدريبات فريقه ريال مدريد وقال: يومًا ما كان والدك حارسًا لمرمى ريال مدريد، كان قد قطع عهدًا لنفسه ألا يتوقف عن كتابة التاريخ وصناعة المجد، كادت الظروف أن تجعله يحنث بعهده لكنني لم أفعل، والدك كتب التاريخ بطريقة أو بأخرى، وكانت كُرة القدم هي أول صفحة في تاريخه، يومًا ما ستفعلها أنتَ أيضًا، يومًا ما ستُصبح الشهير إنريكي إجليسياس.

يـــدٌ واحدة تكفي لرفع كأس العالم

أشرقت الشمس على العاصمة مونتيفيديو جنوب أوروجواي وكأنها تحيط خصر أوروجواي بذراعيها لتعانقها، ويجلس الصغير سيباستيان أمام النافذة ينظر نحو الشروق شاردًا وكأن الشمس لم تشرق بعد في عينيه، وأن الكون مازال في قبضة الظلام.

شعر سيباستيان بيد خفيفة تربت على كتفه وصوت والده دييجو يسأله بلطف: مازلت لا تستطيع النوم؟

هز سيباستيان رأسه مُجيبًا: نعم. كلما أغمضت عيني أرى نفسي وأنا أقف أمام المرمى الخالي وأطيح بالكرة في السماء، المشهد لا يبارح خيالي، عالقًا في ذهني كشيطان لم يجد نفسًا أضعف من التي امتلكها ليسكن فيها.

جلس دييجو أمام ابنه وهو يرتب كلماته في رأسه قبل أن يتلوها على سيباستيان، فهو لم يكن يريد إلّا أن يهون على ابنه الذي لعب اليوم مباراته الأولى في صفوف فريقه المُفضل ناسيونالمونتيفيديو، وأتيحت له فرصة تسجيل هدف الفوز لفريقه، ولكنه وضع الكرة في السماء بدلًا من أن يضعها في المرمى الخالي، لم تكن نظرات زملاء فريقه الجارحة أو صب الجماهير غضبهم على سيباستيان هو ما يؤرق دييجو، بل قرار ابنه الطائش بعدم ممارسة كرة القدم مرة أخرى هو ما كان كفيلًا بذلك.

قال دييجو: أعلم جيدًا أن الأمر صعب، أعلم أنك لم تكن تنتظر حدوث هذا، وانتظرت تلك المباراة منذ كنت طفلًا صغيرًا، ولكن إضاعتك لفرصة ليست نهاية المطاف، باجيو نفسه لم يعتزل الكرة بعدما أضاع ركلة الجزاء الشهيرة.نظر سيباستيان لوالده بيأس قائلًا: باجيو أضاع ركلة الجزاء بعدما صنع اسمه، بعدما كان ظهره مستندًا على تاريخ حافل، أنا أضعت فرصتي الأولى والمرمى خالٍ تمامًا، كان الأمل كمشعل يضيء طريقي إلى

ناسيونالمونتيفيديو، وفقدته اليوم كما فقدت السيطرة على الكرة التي ركلتها نحو السماء.

اعتدل دييجو في جلسته وبدأت ملامح الغضب ترتسم على وجهه وقال: أي أمل هذا الذي فقدته؟ ماذا تعرف عن الظروف التي قد تُجبر شخصًا على التخلي عن الأمل؟ لم أعتقد أنه سيأتي يومًا ما وأراك بهذا الضعف، دعني أخبرك بحكاية وبعدها قرر هل ستعود لملعب سنتيناريو تعوض الجماهير عن هدفك الضائع بأهداف أخرى حاسمة، أم ستجلس هنا أمام نافذتك ليلًا نهارًا واضعًا رأسك بين كفيك كنعامة تضع رأسها في الرمال؟

عام ١٩١٧ في مونتيفيديو كان هُناك طفلًا يعشق كرة القدم لدرجة جعلت من حوله يصفونه بأنه يتنفس كرة القدم، كان واضح للجميع أن صاحب الـ ١٣ عام يسبق من هُم في مثل سنه في طريقة اللعب، وفي إحراز الأهداف، وفي أحد الأيام فَقَدَ الطفل هيكتور كاسترو ذراعه اليُمنى في حادثة أثناء استخدامه المنشار الكهربائي، كانت عودته للعب الكرة مرة أخرى أمر صعب للغاية، توازن جسمه لم يعد على ما يرام بعدما فقد ذراعه، لم يكن يستطيع الركض بطريقة صحيحة، في مثل تلك الظروف يصبح فقدان الأمل أقل ما يُمكن فعله، ربما لم يكن أحدهم سيجرؤ أن يلوم كاسترو إذا فقد الأمل حينها، وجلس علىكرسي يشاهد شروق الشمس كـ سيدة فقدت عائلها في الحرب.

ولكن لم يفقد كاسترو أمله بفقدان يده اليُمنى، بل أغلق يده اليسرى عليه بإحكام؛ استطاع هيكتور بالتدريب والمثابرة أن يحافظ على توازنه، بل أصبح أكثر مراوغةً من ذي قبل وهدافًا، وأصبح اسم *المانكو مقترنًا بالعبقرية وليس بالعجز.

تعاقد مسئولوناسيونالمونتيفيديو مع المانكو عام ١٩٢٣ فجاء رده سريعًا كتحركاته العبقرية في الملعب، وقاد الفريق للفوز بالدوري عام ١٩٢٤ وبالـ كوبا أمريكا عام ٢٦مع منتخبه، وعاد ليفوز بالدوري عامي ٣٢ و ٣٣، وبالـ كوبا مرة أخرى عام ٣٥ . كاسترو يا بني كان كقلم لا يتوقف عن الكتابة، لم يكتفِ بقيادة أوروجواي للفوز بدورة الألعاب الأولمبية ١٩٢٨، بل أحرز أول هدف لأوروجواي في مونديال ١٩٣٠، وأخر هدف للأوروجواي في المونديال ذاته، الأمل الذي لم يفقده هيكتور قاده لحمل كأس العالم... حتى ولو بيدٍ واحدة.

نظر سيباستيان لوالده نظرة خجل، ولكن التيه كان مازال مسيطرًا على عقله، لم يكن قد اتخذ قراره بعد. وقف دييجو وأعطى ظهره للنافذة ولسيباستيان قائلًا: الآن اتركك للاستمتاع بمشاهدة الشروق.

دخل دييجو إلى غرفته وهو يُمني النفس أن تكون قصة هيكتور أثرت على ولده، وقبل أن يفقد دييجو الأمل في تراجع سيباستيان عن قراره، سمع صوت باب المنزل يُغلق بقوة، ركض نحو النافذة في غرفة سيباستيان ونظر منها ليراه يركض هو الآخر وعلى ظهره حقيبة سوداء.

- إلى أين؟ قالها دييجو بصوت عالٍ بعدما أخرج رأسه من النافذة.

---

*المانكو : لقب اطلق على عيكتور و معناه ذو الذراع الواحدة

- سيباستيان: سيبدأ تدريب الفريق بعد ١٥ دقيقة، يجب أن ألحق به.

- دييجو: هل تستطيع أن تصل في الميعاد؟

- سيباستيان: لا أعلم، على أي حال، لن أفقد الأمل.

تذكرة أخيرة للسمـــاء

الحياة وجهات نظر، ووجهة نظرك قد لا تجد بالضرورة استحسان ممن حولك، أحدهم يرى ضرورة السير على الخطة الموضوعة له حتى من قبل أن يولد، الخط الذي يقول الجميع أنه مُستقيم وأن الحياة يجب أن تسير على هذا المنوال، رغم أن الخط المُستقيم لا يعني إلا أن القلب قد توقف، أن الحياة قد انتهت.

تولد في موطنٍ ما، تتعلم، تعمل، تدخر وتدخر وتدخر، تتقدم في العُمر، ثُم تُلقي بكُل ما ادخرته تحت أقدام ذلك الخط المُستقيم، حتى تجد نفسك يومًا ما واقفًا أمام المرآة تنظر إلى هذا الخط وقد اِعوَجَّ على جبهتك، واحتل الشيب مُعظم رأسك وقائمة الأشياء التي ترغب في فعلها، والأماكن التي تمنيت زيارتها مازالت بين أوراق كتابٍ ما، لا تذكر حتى اسمه، تكتشف أنك لم تغادر هذا المكان مُنذ ما يقارب من نصف قرن.

وهُناك من قرر الثورة على الخطة الموضوعة سلفًا ووضع أُخرى جديدة، قرر كسر خطهم المُستقيم قبل أن يتحول إلى تجاعيد تملأ وجهه، قرر أن يُلقي بكُل ما ادخره تحت أقدامه هو، أن يضع كلمة "تم" أمام كُل شيء فعله، وكُل مكان زاره في قائمته، ووضع على رأس قائمته جُملة يحفظها عن ظهر قلب "المليونير هو مَنْ ينفق المليون، وليس مَنْ يدخرهُ".

كلوفيس أكوستا، الرجل البرازيلي صاحب القُبعة المُميزة على رأسه، وفي يده نُسخة مُقلدة من كأس العالم، فهو ممن أدركوا أن الحياة هي فُرصة المرة الواحدة، ولأنها لا تتكرر فعليهِ أن يحياها كما ينبغي، أن يحياها مُستمتعًا بكُل ثانية فيها، فقرر أن يثور وأن يسير على خط من صُنعه، وجد المُتعة في السفر والشغف في التشجيع، فقرر دمجهم ليُسافر خلف مُنتخب بلاده مُشجعًا.

خط أكوستا كان مُذهلًا، خط يبدأ من البرازيل، يمُر بإيطاليا، أمريكا، ألمانيا، جنوب أفريقيا، وتشيلي، وبلاد أخرى كثيرة، ولكن لم يلتقط له أحد أي صورة وهو حامل للكأس الذهبية في المدرجات.

قام أكوستا بتشجيع البرازيل في ٦٠ بلد مُختلف، وحضر أكثر من ١٥٠ لقاء لمُنتخب بلاده من أرض الملعب، منذ ٩ سنوات بدأ يتبعه هذا الضيف الثقيل إلى حيث يذهب، من بلدٍ لأخرى ومن قارةٍ لقارة، منذ ٩ سنوات اكتشف أكوستا أن بين ليلةٍ وضُحاها قد تتوقف رحلته الكُبرى للأبد، اكتشف أن السرطان احتل جُزءًا ليس صغيرًا في جسده.

أنهك السرطان جسده رويدًا رويدًا، ولكن أكوستا لم يقف أمام مرآته نادمًا، تجاعيد وجهه لم تكُن تُذكره إلا بخريطة العالم الذي زار معظمه مُشجعًا، باكيًا تارة... ومسرورًا أُخرى.

مزق السرطان تذكرة طيران أكوستا إلى روسيا وابتاع له أُخرى للسماء، رحل السوبر فان عن دُنياه، عن المُدرج، وعن قائمته التي تمتلأ بكلمة تم، وأخيرًا سار أكوستا في خط مُستقيم.

المعاناة الاخيرة

وُلِدَبيرماريوموروسيني في ٥ يوليو ١٩٨٦ على حُب الكُرة، ظن أن العقبات ستواجهه فقط في رحلته نحو أن يُصبح لاعب كُرة قدم مُحترف، لكنه كان مُستعدًا لذلك على أي حال.

قبل أن يعتدل موروسيني في وقفته مُتجهًا نحو حلمه، وبعد عام واحد من انضمامه لفريق أودينيزي، صدمه القدر بوفاة والدته وهو في الخامسة عشر من عُمره، فاجعة موت أمه لم تكن ضمن الشدائد التي توقع مُلاقاتها في طريقه.

وبعد عامين من المحاولات الحثيثة للتأقلم على الحياة بدون أمه، صفعه القدر صفعتين مُتتاليتين بموت والده وشقيقه أيضًا، فاجعة جديدة كفيلة أن تُدمر المُراهق بيرماريو الذي ظل يتنقل بين أندية الدوري الإيطالي، حيث أنه مر على بولونيا، فيتشينزا، ريجينا، بادوفاوليفورنو، لعب لكُل تلك الأندية على سبيل الإعارة من ناديه أودينيزي لكن بيرماريو كان دائمًا ما يُردد جُملته الخالدة "أنا لدي أسبابي لأكون شاكرًا أكثر من تلك التي تجعلني متذمرًا".

في العام الأول لـ بيرماريو مع ليفورنو، وخلال لقاءه الثامن مع الفريق ضد بيسكارا على ملعب الأخير استاديوادرياتيكو، قرر القدر أن يوقف تنقلات موروسيني ويُنهي مُعاناته الشخصية للأبد، بعد مرور نصف ساعة من المُباراة سقط اللاعب صاحب الخمسة وعشرين ربيعًا على الأرض وسط هلع الجميع، سقوطه لم يكُن للإصابة أبدًا، صوت ارتطام جسده بالعُشب الأخضر لم يكن أبدًا ارتطام شخص يستطيع التحكم في جسده.

حملت سيارة الإسعاف بيرماريو واتجهت به نحو المشفى بعد ٦ دقائق و٢٤ ثانية من سقوطه، لكن قلبه توقف هُناك تمامًا وأُعلنت وفاته.

أُلغيت مُباراة ليفورنووبيسكار على إثر وفاة الشاب الإيطالي، وتوقفت مُباريات الدوري الإيطالي الدرجة الأولى والثانية بشكل مؤقت احترامًا لـ

بيرماريو، فُتحت تحقيقات حول وفاة اللاعب بالسكتة القلبية في بيسكارا وتردد السؤال حول ما إذا كانت المُساعدة الطبية قُدمت بشكل كامل للاعب أم لا؟ وهل كان تأخير نقله إلى المشفى سببًا للوفاة؟

بعد ذلك اتضح أن السيارة التي نقلت اللاعب للمشفى لم تكن تابعة للإسعاف، بل كانت سيارة شُرطة مُصطفة في المدخل المُخصص لسيارات الإسعاف، رغم إصرار رئيس بلدية بيسكارا على أن تأخر نقل اللاعب إلى المشفى لم يكن سببًا في موت اللاعب، إلا أن الضابط الذي قام بقيادة السيارة تم إيقافه عن العمل.

أما في ليفورنو فقد تم حجب القميص رقم ٢٥ الذي كان يرتديه موروسيني وقررت إدارة النادي أنه لن يرتدي أي شخص الرقم بعد الفقيد، وقرر المجلس المحلي إطلاق اسم بييرماريوموروسيني على المدرجات الجنوبية من ملعب أتليتي ازوري دي إيطاليا.

أما ناديه الأصلي أودينيزي فقد قرر الاعتناء بشقيقته كارلا مدى الحياة سواء ماديًا أو صحيًا، كارلا التي كانت تعتمد ماديًا على اللاعب بشكل كامل، لم تكن حياتها أفضل من بيرماريو بل أسوأ بمراحل حيث فقدت والدتها، شقيقها ووالدها ثم بيرماريو في الأخير هذا بالإضافة لكونها تُعاني من تأخر عقلي.

غروب شمس الفتى الإيطالي كانت صعبة للغاية، ولكن الجميع ظل يتذكر جُملته ويُكررها على مسامع شقيقته....

"أنا لدي أسبابي لأكون شاكرًا أكثر من تلك التي تجعلني متذمرًا".

وقفتْ أمامه ونظراتها الثائرة تكاد تحرقه من شدة الغضب. تبعت نظراتها بحديثها الغاضب وقالت: كل مرة أضع الخطط للخروج أو مشاهدة فيلم هنا في المنزل، تدمر أنت الخطط وتجلس لتتابع المباراة، في الواقع أخاف أن أسألك أيهما أهم أنا أم المباراة حتى لا تفاجئني بردٍ قد يجعل الأمور صعبة بيننا أكثر مما هي عليه، جوني أنت تحب مشاهدة المباريات أكثر من أي شيء آخر.

ابتسم جوني وقال: أنتِ دائمًا في المقدمة عزيزتي جينيفر، ستبقين للأبد على رأس هرم أولوياتي في الحياة، أنتِ مَنْ أبدأ يومي به وأنهيه به، أنتِ الحياة نفسها، أنتِ الأجمل على الإطلاق.

انفرجت أسارير جينيفر بعض الشيء، وبدأت نظرتها الغاضبة تتحول إلى نظرة "أريد سماع المزيد من تلك الكلمات"، وكأن عيناها تطلب منه أن يستمر في غزله هذا.

جينيفر: إذن. لماذا؟ لماذا تهتم بالكرة كل هذا الاهتمام، لماذا تفعل كل ما تفعله من أجل أن تجلس فقط وتشاهد المباريات؟

جوني: لماذا؟!! لنفس السبب الذي يجعلك ترتدين فستانك الأسود في سهراتنا المميزة، لنفس السبب الذي يجعلك ترتدين قمصاني في المنزل، لنفس السبب الذي يجعلك لا تضعين مساحيق التجميل كغيرك من النساء، لأن الكرة تجعلني أشعر أن هذا أنا، دون تجميل دون حاجة للأقنعة التي نضطر أن نرتديها طوال الوقت، أحب فريق وأكره آخر، أقول لهذا اللاعب كم هو رائع وأقول للآخر أنه لا يفقه شيء في كرة القدم، حتى وإن لم

يسمعني فأنا أتعامل بطبيعتي بشخصي الذي يظل حبيسًا داخلي معظم الوقت.

أعرف أنكِ تُفضلين مشاهدة الأفلام مثل تواليت أو تيتانيك، ولكن أنا أفضل مشاهدة مباراة روما ولاتسيو، اليونايتد وليفربول، أو ريال مدريد و برشلونة.

إن كُنتِ تبحثين عن الرومانسية وقصص الحب، فقط ألقي نظرة على قصة حب روما و توتى، و كيف لم يترك ديلبييرو حبيبته يوفنتوس في أحلك الأوقات، لم يهرب مثل غيره، انظري إلى عطاء جيجز لليونايتد ودموع لامبارد عندما قررت حبيبته تشيلسي أن تتخلى عنه.

أما إذا كُنتِ تبحثين عن الإثارة فيمكنك أن تلقي نظرة على الصمت المخيم على استاد النور في لشبونة، عندما رفع المحارب سيميوني يده لجماهير الأتليتي ليحتفل معهم بالنصر ولكن من رَحم الصمت ولد الصراخ المدوي راموس والذي يصعد فوق الجميع ،ساعة الملعب تشير لـ ٩٢:٤٨، الصمت يتحول للجنون الصاخب ورأسية راموستصرخ هي الأخرى في مرمى كورتوا.

ستجدي في قصة زانيتي ومالديني نهاية مثالية فكلاهما أنهى حياته الكروية بالطريقة المثلى، اعتزلا في ناديهما وسط محبيهم وعائلتهم، اعتزلا وعلى ذراع كل منهما شارة قيادة تنحني لعظمة مرتديها.

كما يمكنكِ مشاهدة فيلم رعب في السيجنال إيدونا بارك، حيث الرعب يدب في قلوب الخصوم أمام أمواج مشجعي دورتموند الصفراء.

الخيال العلمي وأفلام المهمة المستحيلة؟ ألم تسمعي بليلة إسطنبول؟ وكيف قلب ليفربول هزيمته أمام ميلان إلى تعادل ثم انتصار، جمهور الميلان لا يعرف حتى الآن كيف صد دوديك كرة شيفيتشنكو!

الإنجليز هم الأفضل في المهمات المستحيلة فقبل أن يفعلها الريدز، فعلها الشياطين الحمر أمام البافاري بايرن ميونيخ، حوّل مانشستر يونايتد الهزيمة إلى انتصار في لمح البصر، في دقائق معدودة.

وعن الخيال العلمي ليت أحدهم يستطيع تفسير ما فعلهكارلوس في قوانين الفيزياء، وكيف ذهبت كرته في فرنسا إلى اليمين ثم اليسار ثم لداخل المرمى الفرنسي، أو ما فعله مارادونا بدفاعات منتخب إنجلترا أو كرات جونينهو الغير مُفسرة حتى وقتنا هذا؟ أو كيف كان الظاهرة رونالدو يضع أهدافه بتلك الدقة؟ أو كيف كان يمر رونالدينهو من سنتيمتر؟ أو كيف ذهبت كرة زيدان في مرمى ليفركوزن بتلك الطريقة؟ أومراوغات باجيو العجيبة لحراس المرمى كيف فعلها؟ ليتهم يستطيعون تفسير قفزة كريستيانو رونالدو فوق الجميع أو ليونة أقدام ميسي التي تجعله يمر من بين اللاعبين كما لو كان شبح غير مرئي. أتعلمين؟ حتى فرويد سيعجز عن تفسير كل هذا.

كرة القدم هي العالم الحقيقي بالنسبة لنا ياسيدتي، مشاهدة الكرة هي كالتبضع بالنسبة لكِ، نفس الابتسامة التي أراها على وجهك في المول أثناء التبضع تُرسم على وجهي في أوقات المباريات، سأشاركك التبضع حتى إن وجدته غير ممتع بالنسبة لي؛ لأني أعلم مدى أهميته لكِ، وتشاركيني مشاهدة المباراة وإن وجدتيها مملة.

لابد من المرونة في الحياة لكي نستطيع أن نستمر معًا، هيا.. ارتدي فستانك الأسود، لدينا ليلة مميزة ياعزيزتي.

جينيفر: ليس قبل أن نشاهد المباراة، لم أفقد صوابي حتى أفوت مشاهدة كلاسيكو الأرض.

الغـــيـــبـــوبـــة

وقف لوكاس خارج باب منزله يحث زوجته خوليا وابنهما رفائيل على أن ينتهيا من ارتداء ملابسهم سريعًا.

وقف عند الباحة الأمامية يحدثهم بصوتٍ عالٍ "المباراة ستبدأ بعد ساعتين ونصف، إن لم نتحرك الآن لن نصل إلى ستاد كاستيلاوفورتاليزا في الموعد المناسب".

خرج الابن وتبعته الأم ليلحقا بسيارتهم التي سبقهم الأب إليها، ليبدأوا رحلتهم نحو الفورتاليزا لمتابعة مباراة منتخب البرازيل ضد كولومبيا.

أسند لوكاس رأسه على كرسي القيادة في السيارة، ربما غفل قليلًا أو سُرق عقله منه للحظات، كان لوكاس يتذكر ما قصه عليه والده عن مباراة البرازيل وأوروجواي في ستاد الماراكانا، وكيف سُرق الحلم من المنتخب البرازيلي على يد الأوروجواي، وكيف عاشت البلاد في حزن بعد خسارتهم في نهائي كأس العالم، وكيف انتحر لويز عَم لوكاس الأكبر بعد تلك الهزيمة.

جاء صوت رافائيل من المقعد الخلفي ليُخرج والده من خندق الذكريات إلى هواء الحقيقة، لم يُميز لوكاس ما قاله ابنه فأعاد الولد السؤال على مسامع والده.

- هل تعتقد أننا سنفعلها اليوم؟ هل سنفوز ونتأهل للمباراة قبل النهائية؟
- أجابه لوكاس بابتسامة مُطمئنة: سنفعلها يا ولدي، ربما ستكون مباراة صعبة، وسنلاقي صعوبة في إيقاف كوادرادو و رودريجز، لكننا سنفعلها،

قالها لوكاس وهو غير مُطمئن، ويعلم في قرارة نفسه أن المباراة أصعب مما يصورها لابنه.

وصل ثلاثتهم إلى الإستاد وانتظروا حتى بدأت المباراة بعدما تغنوا بالنشيد الوطني للبرازيل من كل قلبهم، جلسوا يشاهدون المباراة وحين أشارت ساعة الإستاد إلى الدقيقة السابعة وصلت رؤوسهم للسماء فرحًا بهدف تياجوسيلفا الأول، ثم همست خوليا في أذن لوكاس: قلل من حِدة انفعالك، نصحك الطبيب بذلك، ونحن لا نريد أن نزوره مرة أخرى. ابتسمَ لها وهو يحرك رأسه موافقًا، أو أراد فقط إسكاتها لمتابعة باقي المباراة.

بدأت المباراة تزداد صعوبة على المنتخب البرازيلي، فقالها لولده: إن لم نحرز الآن، سنعاني كثيرًا، لم يُكمل الأب حديثه حتى فاجأه ديفيد لويز بهدفًا رائعًا من ضربة حُرة مباشرة، سقطت الكرة في شباك كولومبيا.. ولكن سقط معهالوكاس على الأرض مغشيًا عليه.

هناك حركة غير عادية تحدث في المدرج ،الكل بدأ يكتشف سقوط أحد المشجعين على الأرض بعد سماع صراخ زوجته وبكاء ابنه، تصرف أحدهم بسرعة الصوت، حمل لوكاس إلى المشفى، وهناك قال لهم الطبيب: أن لوكاس تعرض لأزمة قد تبقيه في غيبوبة لفترة من الزمن قد تطول أو تقصر.

جلس رفائيل واضعًا رأسه بين كفيه، وهو يسترق النظر إلى باقي المباراة، ربما هو أسوأ يوم في حياته، سقط والده ودخل في غيبوبة وكذلك لاعبه المفضل نيمار بعد إصابته بكسر في فقرة أو ربما أكثر في ظهره.

مرت الأيام بطيئة، أربعة أيام قد مرت ولوكاس لم يستعد الوعي بعد، ولكن الأطباء يقولون إن الأمر غير مُقلق، ربما يفيق قريبًا، ولكن على الجانب

الآخر دخل المنتخب البرازيلي نفسه في غيبوبة وخسر من ألمانيا بـ ٧ أهداف مقابل هدف في أرضه ووسط جمهوره.

شاهدت خوليا أخبار المباراة، واستدارت لـ رفائيل تقول: ربما من الأفضل لوالدك أنه لم يشاهد ذلك، لا أعلم ماذا سيفعل عندما يعلم أن حلم الماراكانا قد دُمر من جديد بفضيحة لن تُنسى هنا على أرضنا، لم يجب رفائيل فقد كان يحاول أن يُخفي دموعه عن أمه التي تضاعف بعد الهزيمة، لم يكن يعلم علام الدموع؟! على مرض والده أم مرض منتخبه وضياع حلمه ووالده المُشترك.

١٢يوليو ٢٠١٤، حركة مُرتبكة سعيدة أمام غرفة لوكاس، وصوت يأتي من نهاية الرُدهة "لقد فاق المريض".. هرولت خوليا مع ابنها لتجد زوجها الملازم للفراش يبتسم قائلًا: أعتقد أن تلك هي أطول قيلولة حصلت عليها على الإطلاق. ردوا عليه بابتسامة ليست كالابتسامة وعِناق يخفي الكثير من الحزن.

شعر لوكاس بالأمر ولكنه حاول أن يكذب نفسه، فوجه لهم الحديث ثانيًا: من حسن حظي أنني استيقظت اليوم، فغدًا سنذهب للماراكانا سويًا وسنحتفل بفوزنا بالكأس. ثم نظر لرفائيل وقال: لماذا تبكي،لا تخف ألم أقل لك أننا سنهزم كولومبيا وهو ماحدث، أكررها اليوم سنهزم... سكت للحظة ثم سأله: من تأهل للنهائي؟ أجابه بصوت منخفض للغاية: الـ.... الأرجنتين يا أبي، جاءت ابتسامة لوكاس سريعة يا إلهي! نهائي الماركانا ضد الأرجنتين، يا له من نهائي.. سنمنعهم من غناء تلك الأغنية البغيضة مجددًا، اليوم سنثبت لهم أن بيليه أكبر من مارادونا وليس العكس، وأن نيمار أكبر من ميسي بكل تأكيد، فعندما نتحدث عن الكرة، البرازيليين هُم الأفضل على الإطلاق.

- أبي.. نحن لن نذهب للماراكانا. قالها رافائيل بنبرة خوف.

- لوكاس: مـــاذا؟ كفاك مزاحًا وكذبًا، أتقصد أننا قد هُزمنا من ألمانيا، لا مجال لما تقوله، وقبل أن يستوعب لوكاس صدمته الأولى أعاد رفائيل على مسامعه: لن نذهب للماراكانا لأن ألمانيا هزمتنا، بل أهانتنا، لقد خسرنا ٧-١.

- لوكاس: أنتَ تحلم بكل تأكيد، مَنْ يستطيع هزيمة برازيل نيمار بنتيجة ٧-١؟

- رفائيل: نيمار؟... نيمار أُصيب يا أبي ولم يُكمل المونديال، لم يلعب حتى مباراتنا ضد هولندا اليوم في مباراة تحديد المركز الثالث والرابع.

- لوكاس: ثالث؟ فزنا بالمركز الثالث هنا في البرازيل؟

- رفائيل: الرابع... الرابع يا أبي، هُزمنا بثلاثية أمام هولندا.

ياإلهي!! ليس مجددًا... لوكاس تحدث إليّ أرجوك، صرخت خوليا قبل أن تركض نحو الطبيب.

خوليا: ماذا يحدث يا سيدي؟ ما حالة زوجي؟

الطبيب: دخل في غيبوبة أخرى، لكنها ستطول، ستطول كثيرًا، عام أو اثنان، أو ربما أربعة أعوام، أعرف طبيب رائع في روسيا، هو متخصص في تلك الحالات، لكنه لن يكون متاح قبل أربعة أعوام، أظن زوجك سيفيق في روسيا ٢٠١٨.

تحت سماء العاصمة الزرقاء وقف فيرناندو بجانب والده سيرخيو على أبواب الأولمبيكو، وهو يهتف كباقي المُشجعين من حوله "فورزا نابولي، فورزا نابولي"، نظر إليه سيرخيو قائلاً: أرجو أن نخرج من هُنا بالكأس حتى لا تذهب ابتسامتك تِلك.

فيرناندو: أتمنى ذلك أيضًا. أعتقد أننا أقوى من الفيولا، وأن الكأس سيعود معنا إلى نابولي. على أي حال، سنخرج من هُنا ونحن نهتف فورزا نابولي، سواء انتصرنا أم لا.

دخل سيرخيو وفيرناندو من بعده إلى الكورفا. نظر الأب إلى ساعته وقال: الوقت لا يُريد أن يمر، أمامنا أكثر من ساعة وتبدأ المُباراة.

لم يلتفت فيرناندو لما قاله والده فهو كان مُنشغلاً بمُطالعة التشكيل الذي سيبدأ به نابولي المُباراة على هاتفه المحمول، التفت أخيرًا لوالده سائلًا: لماذا لا يرتدي أي لاعب في فريقنا الرقم ١٠؟ مُنذ أن بدأت مُتابعة كُرة القدم ولم أرَ الرقم ١٠ على ظهر أحد لاعبينا، الجماهير فقط ترتديه وفوقه اسم مارادونا.

اعتدل سيرخيو في جلسته وكأنه علم للتو ماذا سيفعل في الساعة المُتبقية على بداية اللقاء، يبدو أنه سيقصّ على فيرناندو تاريخ أعظم لاعبي نابولي على الإطلاق.

سيرخيو: الرقم ١٠ مُحرّم على أي لاعب تخطو قدماه أرض السان باولو، مَن يرتدي القميص السماوي ويقطن جنوب إيطاليا غير مسموح له بارتداء الرقم ١٠. الرقم ١٠ هو لمارادونا فقط ولا أحد غيره، الإدارة حجبته منذ رحيل دييجو عن الفريق.

جاء مارادونا إلى الجنوب بعد موسم كُنا قد عانينا فيه الأمرّين، ولكن بحضوره احتل نابولي المركز الثامن، وفي العام التالي أنهينا البطولة في المركز الثالث، وانتصرنا على اليوفي، وهو أمرٌ لو تعلم عظيم، بل هو

بمثابة بطولة. وقبل بداية موسم ٨٧، صَرّح دييجو في الإعلام أن نابولي هو مَن سيحرز السكوديتو هذا العام.

لم يلتفت أحدٌ لتصريحات مارادونا، وحَصَرَ الجميع المُنافسة بين اليوفيوإنتر ميلان وروما، أما أنا ومن على شاكِلتي، كُنا نحلم بما قاله مارادونا، نحلم بسكوديتو نرفعه أخيرًا ولأول مرة في السان باولو. مارادونا كان الأمل والمُخلِّص، كان جيفارا نابولي وقائد ثورة الجنوب على الشمال الذي طالما تجاهل وجودنا على خريطة إيطاليا الكروية، الأمر كان يتعدى الفوز بالسكوديتو. الأمر كان مُعقّدًا يا ولدي، أندية الشمال كانت تستقبلنا بلافتات "أهلًا بكم في إيطاليا"، لم يكن يعتبرنا أحد طليان من الأساس، حتى تلبّس هذا الشعور أجسادنا وأرواحنا، أصبحنا نشعر أن دوقية نابولي هي مدينة مُنفصلة عن إيطاليا، حين كان أحدنا يُسألُ هل أنت إيطالي؟ كان يرد بكُل فخر.. لا أنا نابوليتاني.

ظل أتزوري نابولي مُضطهدًا من الشمال ومن الإعلام، فكانت الثورة المارادونية هي الرد الأمثل عليهم.

كُنا نجلس في الكورفا ننتظر دخوله إلى الملعب كملِك مُتوّج، يضع قدمه اليُسرى أولًا على عُشب السان باولو ثم يرسم الصليب على صدره، وبعدها يذهب لمُدلّك الفريق ومُعالجه الفيزيائي كارماندو، ويطبع قُبلته العظيمة على رأسه، تِلك كانت طقوس دييجو التي يبدأ بها كُل مُباراة.

مرّ الموسم سريعًا، وقبل مُبارتنا مع الفيولا في قلب السان باولو كُنا على رأس الجدول بفارق ٣ نقاط عن اليوفي و٤ عن الإنتر. فَوزنا على فيورنتينا كان يعني الفوز باللقب، وأي نتيجة أُخرى تُزيحنا من طريق المجد الذي بدأنا السير فيه. امتلأ الملعب بـ ٨٥ ألف نابوليتاني يهتفون باسم القديس دييجو ويغنون فورزا نابولي، أذكر كيف داعب دييجو الكُرة بكعبه السحري لتصل إلى كارنيفالي، الذي استحوذ عليها ببراعة ونجح في تمريرها بعيدًا إلى جيوردانو الذي مررها بكعب القدم لكارنيفالي الذي أودعها الشِباك. أزعم أن أرض الجنوب كانت تهتز من تحتنا.

سيطرت الفرحة على كل شبر في نابولي، ولكن الشاب روبيرتو باجيو أطلق رصاصة في قلب الجنوب، أسكن الكُرة في مرمانا، وقف كل مَن في المدرج والقلوب كادت أن تتوقف، عيوننا كانت في الملعب، قلوبنا تتقافز داخل صدورنا وآذاننا تلتصق بالراديو لنعرف نتيجة مُباريات اليوفنتوس وإنتر، هتف الملعب بأكمله بصيحات النصر رغم أن نابولي لم يُحرز أي أهداف أُخرى. في الواقع كانت الصيحات من أجل انتهاء مُباريات الفرق الأخرى بهزيمة إنتر وتعادل يوفنتوس، أي أن ليس علينا إلا الصمود لدقيقتين فقط أمام الفيولا لنفوز بالسكوديتو.. وقد كان يا عزيزي.

الفوز بالسكوديتو في الجنوب وخاصة في نابولي هو أمر عظيم، يهم رفات الموتي وعظامهم قبل الأحياء حتى، أذكر أننا قد ذهبنا لمقابر موتانا لنُخبرهم بأننا فُزنا بالدوري أخيرًا، نُخبرهم أن ساحرًا ثائرًا أرجنتيني رفع الكأس الذهبية تحت شمس الجنوب، وأن اسم نابولي زُيّن بلقب البطل، رفعنا لافتات في المقابر كتبنا عليها "آه لو تعلمون ما فاتكم". كُنا نعلم أن فوز نابولي بالاسكوديتو سيسعدهم، حتى لو كانوا في الجحيم نفسه، سيبتسمون ويهتفون "كامبيوني، كامبيوني فورزا نابولي كامبيوني".

ما فعله مارادونا في نابولي لن يُمسح من الذاكرة ولا بعد ألف عام، قادنا للفوز بالسكوديتو مرتين وبكأس الاتحاد الأوروبي، مُعجزات مارادونا لن تتكرر وإن حدث وتكررت، فشغف الانتصار والفوز بأول دوري في تاريخك لن يضاهيه شيئًا. رقم ١٠ يُطبع على قُمصان نابولي كُل عام يا فيرناندو، لكن لن يليق إلا باسم مارادونا، رقم ١٠ مُغلق بقفل ذهبي ومفتاحه لم يُنسخ، نُسخته الوحيدة كانت ومازالت وستظل مِلكًا لدييجو وحده.

كان كل شيء على وشك الانهيار، وضع يده على رأسه وكأنه يتوسل إليها أن تخرج بفكرة تُخرجه من هذا المأزق، لم يتبقَ له إلا يوم واحد، ويجب أن يكون تقريره النهائي عن حسابات وواردات وصادرات الشركة أمام مديره المباشر في العمل، يحب أليكس عمله جدًا، ولكنه على وشك أن يخرج من مكتبه بصندوق يحوي متعلقاته، على وشك أن يُطرد من عمله، حيث أنه لم يجهز هذا التقرير بعد.

سار أليكس في طريق لم يدخله من قبل، في الواقع لا أحد يمر من هذا الطريق، كان طريق مهجورًا تمامًا لا يسكنه سوى شخص واحد، شخص يحاول الجميع أن يتجنب التعامل معه، شيخ عجوز وملابسه دائمًا مُتسخة وذقنة غير مهذبة، أشعث يخافه جميع سكان مدينة مانشستر، لا لشيء سوى لمظهره الغريب، لم يكن أحد يعلم عنه الكثير، المعلومات المتوفرة عنه أنه كان مشجع مجنون لمانشستر يونايتد، مشجع قديم يعرفه كل شخص وطأت قدماه أرض الأولدترافولد، هجرته زوجته وأخذت طفلتيهما وسافرت، لا أحد يعلم لأين؟ هجرته بعدما تسبب انتمائه لـ هوليجانز في تحطيم منزلهم أكثر من مرة من هوليجانز الفرق المنافسة .

ربما نسى أليكس قصة العجوز بسبب تراكم المشكلات فوق رأسه، أو ربما لم ينسَ ولكنه فقط لا يشعر بالخوف من العجوز بيتر، بداخله يرى أنه لا داعي للخوف من مشجع لكرة القدم ذهب عقله -غالبًا- مع زوجته وابنتيه وبقى هو وجسده الهزيل هنا في مانشستر، خاصَّة أن أليكس مشجع مجنون لليونايتد ولكن ليس كـ بيتر بكل تأكيد.

في ظل تلاطم الأفكار في رأس أليكس أوقفه شبح لشخص ما يتوارى خلف الأشجار، ساقه فضوله نحو الشبح ليجد العجوز بيتر ينظر إليه نظرة خائفة،

العجوز الذي تهابه المدينة بأكملها يشعر بالخوف فقط لمرور أحدهم أمام منزله .

أليكس: لماذا ترتسم على وجهك تلك النظرة؟ أنا مجرد شخص يمر من الشارع، لست شخصًا سيئًا.

اقترب بيتر من أليكس وكأنه بدأ يعتاد أخيرًا على وجود شخص بالقرب منه، لم يهتم بيتر بالإجابة على سؤال أليكس، أو ربما تعمد ذلك لأنه لم يعد يشعر بالخوف من الغريب الذي قادته الأقدار للقائه، نظر لوجه أليكس جيدًا وقال: الحزن على وجهك يتحدث عن ما بداخلك، ماذا بك يا غريب؟

تعجب أليكس وقبل أن ينطق لسانه بكلمة واحدة قال بيتر: لست مجنونًا كما يدّعي الناس، أنا فقط سئمتُ من وجودهم بالقرب مني.

قصَّ أليكس على بيتر قصة تأخره في تسليم تقريره، لم يعلم لماذا يحكي له، ربما اطمئن له، أو ربما وجد أخيرًا من يحكي له دون أن يوبخه.

لمعت عينا بيتر وكأنه عاد شابًا مرة أخرى، قال أليكس: أنصحني ماذا أفعل؟

بيتر: سأقص عليك قصة تعود لعام ١٩٩٩، حيث كان اليونايتد وجهًا لوجه أمام البافاري بايرن ميونيخ في نهائي دوري الأبطال، وبعد ٦ دقائق فقط سجل البايرن هدف بقدم ماريو باسلر، مر الوقت سريعًا بعد هذا الهدف، وظن الجميع أن الوقت يركض حاملًا بايرن ميونيخ بعيدًا عن اليونايتد، ظن الجميع أن الوقت يرفض حتى تعادل مانشستر، أضاع لبلومكفيست كرة التعادل للمان، ولم يتركه السير كثيرًا في أرض الملعب، أخرجه وأدخل مكانه المهاجم تيديشرينجهام، الوقت يمر ونحن نتذوق الأمرَّيْن، كاد البافاري أن يقتل المباراة وقتلنا معها بعدما وضع شول كرة استعراضية

خادعة لشمايكل، ولكن الكرة اصطدمت بالعارضة وعادت ليد شمايكل، وقتها شعرت أن شيئًا ما على وشك الحدوث، يبدو أن الوقت قد أعاد حساباته، أو ربما نحن من ظننا به السوء من قبل.

الدقيقة ٨١ وكل شيء على وشك الانهيار، أجرى فيرجسون تغيير بنزول سولشاير بدلًا من أندي كول، حلقي أصبح كالحجر، عروقي متصلبة رافضة أي أوامر من عقلي شعرت أنني على وشك السقوط، المباراة تمر من بين أيدينا كالماء، الوقت الأصلي انتهى، لم نفعل شيئًا طوال ٩٠ دقيقة، كان الأمل منعدم في التعادل حتى في الثلاث دقائق التي أضافها الحكم، كل شيء غير منظم من حولي حتى تلك الركنية التي يقوم بها اليونايتد أمامي تبدو غير منظمة، شمايكل خارج مرماه وداخل منطقة جزاء البايرن، بيكهام يرفع الكرة على رأس حارس المرمى شمايكل الذي أخطأها، وبعدها لعبها يورك وسط الزحام بنظرة فاقدة للأمل، الكرة تصل لجيجز ليسددها الآن، لا ليس بيمينك يا جيجز، الكرة لم تصل لمرمى البايرن.. لكنها وصلت لشرينجهام، يا إلهي إنه يفعل ما عجزنا عن فعله طوال الـ ٩٠ دقيقة، وضعها داخل المرمى، لا أعلم إلى الآن، هل قفزت أنا إلى السماء من الفرحة أو أن السماء قد هبطت لتُلامس رأسي وتُعطني هذه الهدية.

وقبل أن أنظر إلى السماء لأشكرها، كان بيكهام على وشك تنفيذ ركنية أخرى، لم يرفعها بل رسمها على رأس شيرنجهام الذي سددها قبل أن تجد سولشاير في طريقها ليضعها في مرمى أوليفر كان، شعرت وقتها أن رأسي تدور كما الكرة في شِباك كان، صرخت بحلقي الذي لم يعد كالحجر "صنعنا المعجزة، لقد فعلناها".

نظر أليكس إلي بيتر العجوز، وأحس أن القصة لم تكن عن الكرة على الإطلاق، يبدو أن نصيحة بيتر جاءت على الشكل الذي يتقن، جاءت عن

طريق قصة عن اليونايتد، ثم قال: أتقصد أنني أستطيع أن أُنهي تقريري اليوم؟ اليوم فقط، ٢٤ ساعة ليست كافية؟!

ابتسم العجوز قائلًا: لديك أكثر من ثلاث دقائق يا غريب، لديك أكثر من ركنيتان، ما لم تستطع فعله في عام قد تفعله في يوم، فقط إن أردت ذلك، فقط إن لم تضع أمامك حلولًا أخرى سوى الفوز، سوى إنهاء التقرير.

كُن كالسير أليكس فيرجسون، لم يفقد الأمل وأجرى التعديلات اللازمة، لا تكن كبيتر المتشائم الذي نظر لركنية بيكهام على رأس شمايكل وكأنها لاشيء، كُن مُضيئًا كالقمر في الليلة الظلماء، ولا تكُن كمن يتوارى خلف الأشجار خوفًا، أُنْظُر على من تحلى بالأمل للحظات الأخيرة ومن تركه يهرب، حين عانقتني السماء يومها لم أفهم الرسالة، ولم أتمسك بالأمل ولكني فهمتها متأخرًا، فهمتها بعدما هجرتني روحي وأخذت معها قلبي وعقلي تاركة جسدي هنا يموت خوفًا من لاشيء ومن كل شيء.

غاب أليكس عن الأنظار بعد ابتسامة متبادلة مع بيتر، اختفى وبقيت الأشجار حول العجوز وبقيت ابتسامته المرسومة على شفتيه البائستين وهو يتمتم: أليكس سيجري التعديلات اللازمة.. مرة أخرى.

زيكو أو النمسا

خرجت الأخبار من الغُرفة المُغلقة بعدما ظن الجميع أن كُل ما قيل داخلها سيبقى سرًا، كانت الأخبار المُتناثرة في جميع أنحاء مُقاطعة أوديني تؤكد أن نادي أودينيزي سيتعاقد مع بيليه الأبيض زيكو من نادي فلامينجو البرازيلي بقيمة مُرعبة تصل إلى ٩ مليون دولار.

وصلت المعلومات إلى مسامع الساسة في إيطاليا فاعترضوا على فكرة دفع هذا المبلغ في لاعب كُرة قدم، بطريقة أو بأخرى استطاع الساسة إرسال رسالة إلى إدارة نادي أودينيزي مفادها أن دفع مبلغ كهذا مرفوض تمامًا خاصَّة أنه يُدفع في لاعب كُرة قدم في ظروف اقتصادية ليست جيدة على الإطلاق، في الواقع أن أودينيزي الذي كان قد عاد إلى السيريا أ بعد غياب دام لمدة ٢٠ عامًا كان يحتاج لبطل، أسطورة تُدافع عن ألوان الزيبريتي أودينيزي، فالدوري الإيطالي حينها كان يمتلئ بالأساطير عن آخره، مارادونا وبلاتيني وفرانكو باريزي وغيرهم كانوا يُقاتلون على لقب السكوديتو وأودينيزي احتاج بشدة إلى القتال .

جماهير الفريق التي كادت أن تلمس السماء بعد سماع خبر اقتراب ناديهم من التوقيع مع زيكو، شعرت بخيبة أمل بعد رفض أصحاب النفوذ في إيطاليا تحقيق أحلامهم باستقطاب زيكو، ووسائل الاعتراض في إيطاليا دائمًا مُختلفة، خرجت جماهير أودينيزي إلى الشوارع تهتف باسم زيكو، ثورة عارمة في جميع أنحاء المدينة، لافتات كُتب عليها "زيكو أو النمسا" كانت على كُل جدار هُناك.

زيكو أو النمسا.. تهديد صريح للحكومة وأصحاب القرار في إيطاليا، بانفصال المدينة كُلها عن إيطاليا والانضمام للدولة الأقرب إلى حدودها وهي النمسا.

الجماهير وضعت اختياراتها المُتاحة أمام الحكومة، وكان على الحكومة أن تختار إما أن تسمح بمجيء زيكو إلى المدينة أو تخسر المدينة كُلها، تعالت الأصوات المُطالبة بإجراء استفتاء على انفصال أوديني، ولكن ما إن سُمعت تِلك الأصوات إلا واُستُقُبِلَ زيكو بعدها في قلب أوديني استقبال الفاتحين، استقبال يليق باسمه وبالمجهود العظيم الذي بذله جمهور أودينيزي، ليضع أرثرأنتونيسكيومبرا المعروف بـ زيكو قدمه في إيطاليا.

قلب شتاين

لم يكن للناس في اسكتلندا وقتها حديث إلا عن التأهل لـ كأس العالم، وفي ليلة من ليالي سبتمبر ١٩٨٥ تعلقت قلوب وعقول مجاذيب الكُرة في اسكُتلندا بملعب نينيان بارك "كارديف- ويلز".

وقف الأسطورة جوك شتاين مُدرب اسكتلندا على الخطوط في انتظار حلم التأهل لمُلحق تصفيات مونديال ٨٦، الفوز أو التعادل يُسلمه بطاقة التأهل يدًا بيد.

تقدم المُنتخب الويلزي بهدفٍ في الشوط الأول، هدف قد يقتل آمال شتاين واسكتلندا ويُبعثر أوراقه وخططه، يعبث بأحلامه وتخيلاته ويُمزق تذكرة سفر المُنتخب الاسكتلندي إلى المكسيك.

بدأ الشوط الثاني وشارف على الانتهاء ومازال التقدم لصالح ويلز، تبدلت ملامح شتاين والهدوء المُصطنع أصبح دون جدوى، الجميع يرى أن الرجل على وشك الانفجار، وقبل ١٠ دقائق من نهاية المُباراة أطلق الحكم الهولندي جان كييزر صافرته ليُعلن عن احتسابه ركلة جزاء لصالح اسكتلندا.

تقدم كوبر ديفي بخطواتٍ ثقيلة ليلعب ركلة الجزاء الحاسمة، شعر جوك شتاين بألم قاتل في صدره، الألم يزداد مع كل خطوة يخطوها لاعبه على العُشب الأخضر ناحية الكُرة، سدد ديفي بثبات وأحرز هدف التعادل، صرخات فرح الاسكتلنديين كانت تدوي في جَنبات المملكة.

مرت الدقائق الـ ١٠ الأخيرة في المُباراة كـ سنواتٍ عِجاف على مُنتخب اسكتلندا، أما شتاين فألم صدره كان قد اِمتد إلى ذراعه.

أطلق الحكم صافرته ليُعلن تأهل اسكتلندا أخيرًا لمُلاقاة أستراليا في المُلحق، وضربت الفرحة العارمة قلوب لاعبي اسكتلندا كأمواج مُتلاحقة، وعلى الخط الأبيض أخذ الألم يعتصر قلب شتاين.

شعر وكأن الملعب يدور من حوله، لم يعد قادرًا على التقاط أنفاسه، يُحاول أن يتحدث أو يصرخ حتى لكن دون جدوى، وقبل أن يسقط على الأرض انتشلته يد أحدهم، ارتسم الهلع على وجوه الجميع من حوله، وجحظت عين مُساعده الشاب أليكس فيرجسون.

هرول الجميع به ناحية غُرفة خلع الملابس لمُحاولة إسعافه لكن المسافة من الملعب للغُرفة كانت المسافة الأخيرة التي قطعها جوك شتاين بقلب يخفق، الموت كان قد تمكن من شتاين بمُساعدة الأزمة القلبية، رحل بدون أن يحتفل وبدون أن يُدون اسمه في قائمة المُسافرين على مُتن رحلة جلاسكو/ المكسيك.

لـــعـــنـــة جـوتـــمـــان

لم يكن أحد يتوقع ما حدث لنادي بنفيكا البرتغالي بعد تولي المجري جوتمان مسئولية تدريب الفريق، بغض النظر أن المدير الفني الجديد قاد الفريق للفوز بالدوري البرتغالي، إلا أنه ذهب ببنفيكا لأبعد من ذلك كثيرًا. استطاع المدرب المجري بفريقه البرتغالي كسر هيمنة ريال مدريد على البطولة الأوروبية لأول مرة منذ ٥ سنوات، حيث أنه في عام ١٩٦١ انتصر بنفيكا على نادي برشلونة الإسباني في ملعب وانكدورف برن بنتيجة ٣-٢، وتُوج لأول مرة في تاريخه بطلًا لأوروبا.

ارتدىجوتمان ملابسه الأنيقة، ووضع عطره المميز، وذهب للاحتفالية التي يقيمها نادي بنفيكا للاحتفال بفوزه ببطولة أوروبا، ذهب رافعًا رأسه كملكمُنتصر، فإنجازه كان تاريخيًا، دارت الأفكار في رأس المجري وهو في طريقه لمقر النادي، أخذ يفكر في حجم الهدية التي ستقدم له بعد هذا الإنجاز، في الواقع هو لم يكن يطمح في أكثر من زيادة في مُرتبه، ولكن كل تلك الأفكار ذهبت مع الريح بمجرد وصوله إلى مقر النادي، خرج جوتمان من الاحتفال وهولم يتلق أي شيء غير التصفيق.

حققتُ البطولة الأوروبية ولم أنل سوى التصفيق، قالها جوتمان لنفسه وهو يشعر بخيبة الأمل عائده معه إلى المنزل، أخذت الأفكار تتصارع في رأسه إلي أن انتصرت واحدة منهم، قرر أخيرًا أنه سينتظر موسم آخر، فمن الممكن أن تكون إنجازاته غير كافية للإدارة لمنحه الزيادة في راتبه، قرر أن يعتبر ما أنجزه شيئًا عاديًا، و أن إنجازه القادم سيفوق الحالي بمراحل.

في العام التالي، وقف جوتمان أمام التاريخ يروضّهُ، وصل للمباراة النهائية أمام بطل أوروبا لخمس مرات -حينها-، المباراة النهائية بين بنفيكا وريال

مدريد على الإستاد الأوليمبي أمستردام، يومها ذهب جوتمان لملعب المباراة بثقة في النفس ولكن ثقة يشوبها بعض الخوف، الوضع لم يكن سهلًا على الإطلاق، إنجازه الجديد على وشك أن يتحقق،كان يمكن للجميع توقع فوز بنفيكا، ولكن ما لم يكن متوقع هو أن يفوز على الفريق الملكي بنتيجة ٥-٣ !!!صرخ جوتمان يومهافي داخله صرخة لم يسمعها سواه، صرخة أسد مُنتصر، صرخة قائد عسكري عظيم حقق كل ما يمكن من انتصارات ولا ينقصه الآن سوى جمع الغنائم.

أُعيد المشهد من جديد ديجافوالمجري يرتدي ملابسه الأنيقة، ويضع عطره المميز، وهو على ثقة بأنه سيتلقى هذه المرة التقدير والهدية المناسبة لخدماته لبنفيكا، ولكن في الواقع لم يكن في انتظاره سوى التصفيق أيضًا هذة المرة .

عاد وعلى وجهه نظرات تعدت خيبة الأمل بمراحل وقرر أن يطلب بنفسه زياده راتبه، اِستيقظ في صباح اليوم التالي واتجه مباشرةً إلى رئيس النادي،بالرغم من البركان الذي كان يغلي داخل جوتمان إلا أنه طلب من السكرتير بكل هدوء مقابلة رئيس مجلس الإدارة، وما هي إلا دقائق ودخل جوتمان إلى الرئيس.

- الرئيس: أهلًا بملك أوروبا وزعيمها.

- شعر جوتمان أن الجو العام مُلائم لطلب زيادة راتبه فرد مبتسمًا: أهلًا بك سيدي.

- الرئيس: ما هو شعورك بعد البطولة الأوروبية الثانية على التوالي.

-جوتمان: شعور رائع، لكن هناك شيئًا يُعكر صفوه.

- الرئيس: ماذا!! ماهو؟

- جوتمان: أريد تعديل راتبي، أريد زيادة في الراتب، أعتقد أنني أستحق أكثر من هذا المبلغ.

دخل أحدهم ليضع لجوتمان قهوته وفي تلك الأثناء قال الرئيس: وما هي الزيادة التي تراها مناسبة؟نظر جوتمان لمن يضع القهوة أمامه وهمس في أذن الرئيس بالمبلغ المطلوب.

فجأة وقف الرئيس قائلًا: أنت مبالغ يا جوتمان، هذا المبلغ كبير للغاية ولا أعتقد أن أحدهم يستحقه، في الواقع أنا لن أعطيك هذا المبلغ.
جوتمان: لا أحد يستحقه، أنا من بنيت هذا الفريق، أنا من صنعت منه بطل أوروبا بالتدريب والتخطيط والمجهود، وليس بجلوسي على كرسي مُريح في مكتب فخم.

زادت حدة النقاش وأصبح أشبه بالشجار، الجميع يقف خلف الباب الموصد يسترقون السمع، يحاولون معرفة ما يحدث في الغرفة بين جوتمان والرئيس،ولكن ما هي إلا ثوانٍ وكان كل شيء يحدث على مرأى ومسمع من الجميع، جوتمان فتح باب غرفة الرئيس وهو في حالة غضب عارمة، وقف على الباب قبل خروجه وقالها بصوتٍ عالٍ:أنا مُستقيل، من اليوم ستعرفون قيمة جوتمان، لن يفوز بنفيكا ببطولة أوروبية واحدة ولو بعد مائة عام، قالها وهو يشير بيده كما لو كان ساحرًا يلقي تعويذته على المكان، صدى الصوت لم يظهر إلا في كلمات جوتمان الأخيرة، وكأن القدر يريد ترديد الجملة مرة أخرى على مسامع الجميع.

رغم أن الجملة خرجت وقت غضب جوتمان بعفوية إلا أن وقعها كان سيء جدًا على الجميع، شعروا كما لو كانت روحهم قبضت لثوانٍ معدودة.أربعة

مدربونتولّواتدريب بنفيكابعد جوتمان في الفترة من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٥ وفشل الجميع في التتويج الأوروبي، يبدو أن جملة جوتمان هي لعنة ألقاها على بنفيكا، بدأ الجميع يتحدث عن الأمر، حتى وصلت قصة اللعنة لمسامع الرئيس، ولم يجد هو نفسه بُدًا إلا أن يصدقها.أرسل الرئيس إلى جوتمان مرة أخرى يتأسف منه ويطلب منه العودة لتدريب الفريق، كان رسوله في ذلك الأسطورة البرتغالية إيزيبيو الذي أقنع جوتمان بالعودة .

عاد جوتمان للفريق وهو يحمل شيء بداخله ضد الرئيس والإدارة، على الرغم من أنه فاز ببطولة الدوري ووصل لنهائي البطولة الأوروبية، لكن في هذا النهائي تكالبت شباك اللعنة أمام أعين وأفكار جوتمان نفسه، شعر وكأن رأسه توقفت عن التفكير وكذلك لاعبوه، لقد فات الأوان لعنة جوتمان أصبحت حقيقة واضحة للجميع، تعويذته قالها من كل قلبه؛ لذلك هو نفسه لن يستطيع إبطال مفعولها، يُقال أن الجميع تجرع من كأس لعنة جوتمان حتى جوتمان ذاته، وعندما توفي جوتمان قيل أنه عاد وهو غير راضٍ في داخله لذلك لم تُكسر اللعنة، تعاقب المدربين على بنفيكا، البعض من المصدقين باللعنة، والبعض يراها مجرد قصة أسطورية فلكلورية، يُقال أن أحد المدربين زار قبر جوتمان، واستسمحه أن يسمح له الفوز ببطولة أوروبية، ولكن حتى رماد جوتمان رفض ذلك.

منذ لعنة جوتمانوحتى عام ٢٠١٤خسر بنفيكا ٨ نهائيات أوروبية، رغم محاولات بنفيكا و إدارتها على كسب ودروح جوتمانإلا أن جوتمان رفض كل تلك المحاولات، حتى بناء تمثال له على مدخل نادي بنفيكا لم يكن كافيًا لكسر العقدة، الأسطورة تقول أن جوتمان رفض كل القرابين التي قدمتها بنفيكا من أجل كسر العُقدة، وأنه لم يقبل سوى وساطة أزيبيو وحتى تلك الوساطة قبلها على مضض.

غير قابل للنسيان

كان قد مل من قناع الأكسجين على وجهه، كان يعلم أن الأمر قد اقترب، والشاشة بجانبه على وشك أن تُعلن عن توقف القلب عن الخفقان، أغمض عينيه وبدأت كل الذكريات في زيارة عقله للمرة الأخيرة.

رأى طفلًا نحيفًا يحاول تسلق سور ملعب نادي أياكس أمستردام لمشاهدة تدريبات فريقه المفضل، سور يحجب عنه الرؤية ويفصل بينه وبين حياة طالما أراد أن يكون جزء منها، للحظات شعر أن روحه عادت لتسكن ذلك الصغير الذي كانه، وتركت ذلك العجوز الراقد على فراش في مشفى ببرشلونة.

أصوات متشابكة تصل إلى آذان الأشقر الصغير، استطاع بسهولة أن يميز صوت والده وهو يعنفه ويكرر تحذيره اليومي: هندريك، لاتحاول تسلق هذا السور مجددًا، ستعاقب مرة أخرى إن فعلت. وصوت قلبه يتراقص على وقع خطوات أقدامه نحو بوابة النادي الهولندي، يشعر بالحرية رغم إحكام أمه التي كانت تعمل عاملة نظافة في النادي نفسه، قبضتها على يده الصغيرة، وأصوات أخرى تهتف باسمه.

رغم الأصوات التي ملأت رأسه، والأطياف التي لا تكف عن زيارة عقله، إلا أن تسلق السور أصبح أسهل مما كان عليه من قبل، كلما اقترب من الوصول لنهاية السور كلما اقتربت الأصوات أكثر وأكثر.

وعلى العشب الأخضر رأى نفسه يهرول كالمجنون يداعب الكرة للمرة الأولى بعيدًا عن الشارع، ومن الطفل الصغير خرجت منه نسخ في مراحل عمرية أكبر، صورة تشبه كثيًرا صورة نظرية التطور، طفل.. فمراهق.. فشاب.. فأسطورة، الطفل ذو العشر سنوات الذي انضم لصغار أياكس تحول إلى مراهق يلعب بقميص الفريق الأول ضد ليفربول، ويقود فريقه للفوز

على الريدز بنتيجة ٢/٥ وهو في السابعة عشر من عمره، والمراهق إلى شاب يحقق الدوري الهولندي وكأس أبطال الأندية الأوروبية والدوري الإسباني ويقود منتخب بلاده لنهائي كأس العالم، والشاب لأسطورة فيلسوف اللاعبين والمدربين، أعظم ثوار الكرة وأكثرهم جنونًا، مخترع الكرة الشاملة وواضع حجر أساس لامسيا منجم ذهب برشلونة، صاحب البطولة الأوروبية الأولى للبلوجرانا، وكاسر احتكار العاصمة للدوري الإسباني.

قلبُ الطفل الصغير مازال متشبثًا بالحياة وعقل العجوز الأسطورة لم يعد يهتم، عقل يرى أن لا حيلة للموت معه فإن استطاع أن ينال من جسده وروحه لن يستطيع النيل من تاريخ كَتبَهُ على كل جدران ملاعب كرة القدم، وفي عقل كل مشجع انبهر بالطائر كرويف كلاعب، وبثورته كمدرب، وصرامته كإداري، وبقدرته كخالق لمجد برشلونة المستمر، ربما انزلقت يد الفتى ولم تعد ممسكة بالسور كما كانت لكنه لم يسقط أبدًا، كرويف كالعظماء يُذكر تاريخهم بعد الرحيل، سيء كان أو جيد، سيُذكر لأن التاريخ لا ينسى ولا يرحم، وتاريخ يوهان أكبر من أن يُحكى بحروفٍ، تاريخ كرويف حاضر ومستقبل، فإن لم تكن رأيته يلعب، أو يقف على خطٍ أبيض يصنع التاريخ لفريق أحلام كونه، وليصنع مجد برشلونة، فإنك تراه كل أسبوع وكل ليلة ثلاثاء حين تُعزف موسيقى دوري الأبطال، تراه بعد كل "تيكي تاكا" تنفذ في أي بقعة من بقاع الأرض، تراه كلما وطأت أقدام لاعبي برشلونة أرض الملعب، وتراه بعد كل إنجاز وكل بطولة يحتفل بها أبناء كتالونيا.

كرويف غير قابل للسقوط.. غير قابل للنسيان.

حـرب الوردتين

كان الأمر قد تعدى كونه مُجرد خلاف بين عائلة لانكاستر وعائلة يورك، اِحتدم الصراع بينهما، وكُل عائلة كانت ترى أنها الأحق بجلوس أحد أفرادها على عرش إنجلترا.

تحول الخلاف إلى صراع، وأشعل الصراع نيران الحرب الأهلية في إنجلترا، حرب دارت معاركها على مدار ثلاثة عقود، الوردة الحمراء كانت هي شعار عائلة لانكاستر، أما البيضاء فكانت هي شعار عائلة يورك، فأطلق العظيم ويليام شكسبير مُصطلح "حرب الوردتين" في مسرحيته "هنري السادس" على تِلك الحرب التي بدأت عام ١٤٥٥ وانتهت عام ١٤٨٥ -أو كذلك يعتقد التاريخ الإنساني بعيدًا عن كُرة القدم-.

ظل الكُره كامنًا في القلوب بين العائلتين، حتى بعد انتهاء أمر المملكة والعرش، وبعدما ضربت أمواج الثورة الصناعية الإنجليز؛ اِتخذ العداء شكلًا أكثر حضارية بين سُكان مدينتي ليدز ومانشيستر.

اشتهرت مدينة الوردة البيضاء ليدز بصناعة الصوف، كانت هي المصدر الأول للدخل لمُعظم سُكان المدينة تقريبًا، ولم يكن أحد في مانشيستر مُهتم بصناعة الصوف، خاصةً بعد ازدهار صناعة القطن التي كانت قد بدأت في الانتشار هناك منذ فترة قصيرة، ورويدًا رويدًا كانت نتيجة ازدهار صناعة القطن أنها أثرت على تجارة الصوف نظرًا للأسعار الرخيصة للقطن مقارنة بالصوف.

الهزيمة التُجارية التي لحقت بأصحاب شعار الوردة البيضاء كانت الثانية، بعدما انتصر هنري تيودور من أسرة لانكاستر عائلة الوردة الحمراء على آخر خصومه من أسرة يورك الملك ريتشارد الثالث.

اشتد العداء وزادت الكراهية بين المدينتين، وكان بناء مدينة مانشيستر لـ هول تاون يُشبه هول تاون ليدز، هو القشة التي قسمت ظهر البعير، وأصبح

الأمر واضح للجميع أن الكراهية وحدها تُسيطر على العلاقات بين المدينتين.

الأمر لم يصل إلى كُرة القدم حتى عام ١٩٠٤، قبل ذلك كان فريق مانشيستر يونايتد يُعرف باسم نيوتن هيث، ومدينة ليدز لم تكُن مُهتمة بكُرة القدم، بل كانت لُعبة الرجبي وهي اللعبة الشعبية الأولى هُناك.

تغير اسم نيوتن هيث إلى مانشيستر يونايتد عام ١٩٠٢، وتغيرت ألوان قميصه من الأخضر والذهبي إلى الأحمر، وبعدها بسنتين تأسس نادي يُمثل مدينة ليدز يُدعى ليدز سيتي، وفي اللقاء الأول بين الفريقين انتصر ليدز سيتي على اليونايتد بنتيجة ٣/٠، وفاز مانشيستر باللقاء الثاني بنتيجة ٢/٠، لكن ضل ليدز سيتي الطريق وتم حل الفريق بسبب مشاكل مالية واقتصادية، وما إن اختفى ليدز سيتي من الساحة إلا وتأسس ليدز يونايتد، وظهر على الساحة فريقٍ جديد يلعب باسم المدينة ويتخذ من الوردة البيضاء شعارًا له.

وصلت الأمور إلى ذروتها في الستينات، حيث كان مانشيستر يونايتد يتكون من مجموعة من اللاعبين المهاريين أمثال جورج بيست، دينيس لو، وبوبي تشارلتون تحت قيادة الأسطورة السير مات باسبي، الذي يميل لطريقة اللعب الاستعراضية ويُشجع لاعبيه على ذلك.

وعلى الجانب الآخر كان المُدرب الأسطوري لـ ليدزيونايتد، دون ريفي الذي أنقذ الفريق من الهبوط للدرجة الثالثة، وقاده إلى الفوز بأول لقب دوري إنجليزي في تاريخه مُحبًا للطريقة الدفاعية، كان دائمًا ما يصرخ في لاعبيه ويأمرهم أن يلعبوا بقوة، قوة وصلت للعُنف في بعض الأحيان، وتحت قيادته كان هناك مجموعة من اللاعبين المُميزين والمُحبين أيضًا لطريقته وكُرة القدم العنيفة التي يلعبها مثل بيلي بريمر، بوبي كولينز، وجون جايلز.

تقابل فريق دون ريفي مع فريق السير باسبي في نصف نهائي كأس الاتحاد الإنجليزي موسم ٦٥/٦٤، المُباراة كانت تطبيق عملي للطريقتين المُختلفتين لـ ريفي وباسبي ونظرًا لذلك تحول الملعب لما يُشبه ساحة القِتال، أعمال

شغب بين الجماهير وبين اللاعبين، تراشق بالألفاظ تحول إلى اشتباك بين دينس لو وجاك تشارلتون استمر طويلًا وبعدها انتهت المُباراة بالتعادل ٠/٠، وتم إعادة المُباراة في أجواء لا تختلف كثيرًا عن أجواء المُباراة الأولى، انتصر فيها ليدز بهدف قاتل في الدقيقة الـ ٩٠، وفي الموسم نفسه انتزع اليونايتد رحيق لقب الدوري الإنجليزي من وردة ليدز البيضاء بفارق الأهداف.

لم تتوقف الكراهية يومًا ما بين الفريقين، وبعد ١٣ عام من حرب الوردتين على كأس الاتحاد الإنجليزي، انتقل ٢ من أهم و أفضل لاعبي ليدز إلى الغريم الأزلي مانشيستر يونايتد مُقابل ٨٥٠ ألف إسترليني وهما جو جوردان وجوردان ماكوين.

لم يكتفِ ماكوين بالانتقال إلى أكثر فريق يكرهه جمهور ليدز، بل صرح بعد انتقاله لليونايتد تصريح جعله الشيطان نفسه في أعين جماهير ليدز، فعندما سُئل عن أسباب انتقاله من ليدز إلى اليونايتد قال: "الجميع يُريد الانتقال إلى اليونايتد، سَلْ أي لاعب من لاعبي الدوري الإنجليزي، أين تتمنى أن تلعب؟ سيُجيبك ٩٩% منهم أنهم يرغبون في اللعب لليونايتد، أما الـ ١% فهم يكذبون"، وكان رد فعل جماهير ليدز على ماكوين في أول مباراة له بقميص مانشيستر يونايتد ضد ليدز على ملعب الأخير بالصافرات والسُباب، فرد هو الآخر على جماهير فريقه القديم برأسية في شِباكهم.

عاد ليدز إلى الأضواء بعد فترة تخبط طويلة، وفاز بالدوري الإنجليزي عام ١٩٩٢، بعد قطع الطريق على اليونايتد إلى رأس جدول الدوري، واستمرت البطولة في الغياب عن الحُمر عامٍ آخر فاليونايتد لم يكن قد فاز بالدوري منذ عام ١٩٦٧، ولكن بنهاية العام ضرب اليونايتد غريمه ضربة جديدة، ضربة أقوى من كُل ما سبقها عندما فاز بخدمات لاعب ليدز الفرنسي الجنسية إريك كانتونا، الذي قاد اليونايتد للفوز بالدوري في العام التالي، فقد صنع المجد هُناك، وأصبح من أساطير ساكني مسرح الأحلام.

وبعد واقعة كانتونا ب ١٠ سنوات، تكرر الأمر من جديد مع مُدافع ليدز "ريو فيردناند" الذي انتقل إلى اليونايتد كأغلى مُدافع في التاريخ وقتها،

ولكن جماهير ليدز التي كانت قد اختارت فيرديناند كأفضل لاعب في الموسم رفضت أن تُسلم اللاعب الجائزة بعدما صُدمت بانتقاله إلى الجُزء الأحمر من مدينة مانشيستر، وعلى درب كانتونا فاز ريو بالدوري في العام الأول له مع اليونايتد.

وقبل أن يذهب فيرديناندللأيلاند رود "ملعب ليدز" للمرة الأولى بالقميص الأحمر، صرح قائلًا: "أنا أعلم أن كُل من في أيلاند رود سيوبخني، ويُطلق عليّ السُباب واللعنات، وأنا أُقدّر ذلك، لكن عليهم أن يتذكروا أنها ليست مسألة حياة أو موت، لقد ذهبتُ لنادٍ كبير يُنافس على مُعظم البطولات، وأنا الآن لاعبًا لمانشيستر يونايتد".

خسر اليونايتد تِلك المُباراة أمام ليدز، وضرب فابيان بارتيز أحد مُشجعي ليدز بزجاجة المياة بعد المُباراة، واندلعت أعمال شغب أصيب على إثرها ٢ من ضُباط الشرطة.

بدأت حرب الوردتين مُنذ أكثر من نصف قرن ولم تنتهِ حتى الآن، ولن تنتهي قريبًا.

كان إنزو وزوجته فيوريلا يسيران في شوارع بورتا ميترونيا الدافئة، أحاط ذراع إنزو زوجته ويده اليُسرى قابضه على يد ابنه الصغير.

أُظلمت السماء فجأة، حتى ضوء القمر لم يكن له وجود، البرق المُتقطع هو الضوء الوحيد الذي يُضيء سماء روما، ضوء مُخيف كصوت الرعد المُصاحب له.

تسارعت دقات قلب فيوريلا وتشبثت بذراع إنزو الذي شعر بيد تسحب الصغير فرانشيسكو من يده، إستدار مُستعدًا للدفاع عن صغيره ليجد سيدة عجوز مُتشحه بالسواد وجهها يُشبه خريطة روما، ويبدو أن الزمن قد أكل عليه وشرب.

سألها بهدوء ماذا تُريدين من الصغير؟ لكنها لم تُعط إنزو أي اهتمام على الإطلاق وظلت مُمسكه بيد فرانشيسكو، ونظرت إلى يده جيدًا ثم لعينيه الاستثنائية وقالت: عين الذئب تِلك مُستحيل أن تكن لطفل صغير.

عاد إنزو وسألها بعُنف: ماذا تُريدين منه؟ وحاول أن يُبعدها عن الطفل ولكن يدها كانت ثابتة كجزع شجرة صلب.

وجهت كلامها للزوجين قائلة: تحملون بين أيديكم أسطورة، يومًا ما سيصبح ذو شأن عظيم.

إنزو: انتهى عصر الأساطير، وابني لن يُصبح هرقل أو أكيليس بكُل تأكيد، أوقفته زوجته عن مُقاطعة العجوز وكأن حديثها أطرب أُذن فيوريلا، فأي أُم تُريد أن تسمع كلمات مثل تِلك عن ابنها.

استمرت العجوز في الحديث مُتمتمه: أكيليس؟ لا لن يُصبح أكيليس بكُل تأكيد،كانت نُقطة ضعف أكيليس كعب قدمه، أما هذا الصغير فكعب قدمه هو نقطة قوة.

فرانشيسكو لن يحتاج إلى كيوبيد ليحبه الناس، ولن يحتاج إلى فورتونا لتجلب له الحظ.

سيسيطر على روما كما لم يسيطر عليها أحد من قبل، ستُصبح روما مملكته وقصره المصنوع من العُشب الأخضر، سيأمر وينهي هُنا، صورته ستُرسم على حوائط الشوارع، وعلى أذرع وقلوب سُكان روما، سيُصبح أشهر من أي كائن حَي أو مَعلم من معالم العاصمة، سيُصبح سيد جِبال الأوليمب، وسيُهتف باسمه فيها، سيبقى في قصره ٢٥ عام أو رُبما أكثر، ولن يستطيع أحد أن يخرجه من قصره أو إنزاله من على عَرشه.

سيبقى وحده ملكًا لروما وكل من يخلفه أمير، سيُصبح هذا الصغير عاصمة روما.

توقفت السماء عن البرق والرعد واختفى الظلام من السماء، واختفت معه العجوز، وكلماتها تتردد بصوت أعلى من صوت الرعد الزائل بين حوائط "بورتا ميترونيا"....

سيُصبح هذا الصغير عاصمة روما، فرانشيسكو إنزو توتي سيُصبح عاصمة روما.

شكر خاص

نادر إبراهيم